محسن عبد الصاحب المظفر

# وادي السلام

## في النجف

## من أوسع مقابر العالم

اعقباك يا دنيا قميص وطمرة بحفرة أرض من خرابات بهاد

المرحوم
علي الاعسم

# الاهداء

الى أخي الجليل الفذ السيد جواد شبّر الذي طالما ألح عليّ بأتمام موضوعي هذا ، عندما قرأ بعض فصوله فى مجلة العرفان الصيداوية ، أهدى هذا السِّفرْ ، راجيا منه قبوله وشاكرا له ارشاده ومساعدته بما بذل في التنبيه الى مراجع مهمة وما سلمنيه من نفائس احتوتها مكتبته العامرة .

المؤلف

# بسم الله الرحمن الرحيم

## المقـــــدمة

بقلم

المجاهد الخطيب

**السيد جواد شبر**

عرفت الاستاذ محسن المظفر ــ أول ما عرفته ــ من وراء قلمه ، فقد قرأت له في مجلة العرفان اللبنانية أولاً ، وفي مجلة الأضواء النجفية ثانياً ، ورحت اسأل أكثر من واحد : من هو هذا الكاتب المظفر ، وكلما مرت أيام تزايدت الرغبة في التعرف عليــه .

وفي أمسية من امسيات الشتاء طرقنا طارق فتطلعت اليه فاذا الطارق صديق لي قديم وبصحبته شاب قرأت مخائل الايمان في جبينه وملامح الفطنة على أساريره وترسمت الخير في صفحات وجهه ، والوداعة ناطقة على مجموعه . بادرني ذلك الصديق قائلاً : هذا هو المظفر الذي سألتني عنه أكثر من مرة وكانت جلسة روحية يسودها المرح ويعلوها الفرح تجاذبنا أنواع الحديث ومنها ملاحظاتي حول ما كتب ونشر . لقد زاد اعجابي بالصديق

الجديد واكباري لشخصه عندما لمست منه جوانب انسانية وروحاً متشبعة بحب الخير والبتعادا عن الشر وبعدا عن أهله فأنشدت في نفسي ثم أنشدته قول من قال :

لا تفكر في أن تسيء الى الناس وفكّر ما اسطعت بالاحسان
إنما أنت من انســت وآنست اناســاً دعيت بالانسان

وتابع زياراته وتعارفت الأرواح ( والأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ) . وعلى أثر ذلك أهدى الي بعض منشوراته من مؤلفاته وتوطدت العلاقة وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه ، على حد تعبير الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

وزارني مرة والبسمة لا تفارق شفتيه على عادته ، وقدّم لي مؤلفه الجديد ( وادي السلام ) وطلب مني وضع مقدمة للكتاب ، فرحت أتصفح مواضيعه واتابع النظر في عناوينه وأقول في نفسي أليس من الحق ان يكتب الباحثون والمؤرخون عن مقبرة وادي السلام قبل اليوم مادامت هي أعظم مقبرة اسلامية في العالم ثم أعود الى نفسي فأقول : كم ترك الأول للآخر ، ومن ذلك قول أبي العلاء المعري :

واني وإن كنت الأخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل

النجف الأشرف :

والنجف تربة غنية ثرية بشتى العلوم الاسلامية وفى مقدمتها علم الفقه الاسلامي فهي أكبر مدرسة فقهية في العالم الاسلامي منذ هاجر الى بقعتها شيخنا أبو جعفر الطوسي (ره) شيخ الطائفة وحتى اليوم .

ولما كان أكثر المتخرجين منها يوصون بالرجوع اليها والعودة لها بعد الوفاة فهم يريدونها سكناً ومدفناً حتى وان بعدت الدار وشط المزار ، أصبحت بمنظرها والقباب تلوح للرائي ، وأول ما تواجه القادم عليها والزائر لها — ففيها القباب سامقة شاهقة وضرائح العلماء والأولياء والصلحاء بارزة للعيان تستلفت الانظار من جميع الزوار وهنالك مقابر الملايين من المسلمين ومن بينهم الملوك والوزراء والسادة والزعماء كالصفويين والبويهيين ممن حكموا البلاد ودانت لهم العباد ، وبين ثنايا هذه المقبرة الواسعة الأرجاء مدافن ملوك الهند والباكستان وغيرهم .

ولما كانت هذه الطبقة الحاكمة من الناس والممتازة بشهرتها وأثرها أصبح وعلى جبهات مقابرهم وأضرحتهم كثير من الأدب الخالد من شعر ونثر أو كلمة لعظيم قالها كما يقال عند تأبين العظماء أو على أبوابهم وهذا ما عبر عنه المؤلف بأدب الجدران .

ولسائل أن يسأل ما هو اختصاص هذه التربة وامتيازها

هدية إلى النسخ الفاضل
الحاج جواد علي (أبو زينب)
راجياً قبولها

بمناسبة مرور ألف عام على تاسيس
جامعة النجف العظمى ، وبمناسبة ذكرى
ميلاد مؤسسها شيخ الطائفة الطوسى

# وادي السلام

## في النجف

## من اوسع مقابر العالم

تأليف

محسن عبد الصاحب المظفر

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى — ١٩٦٤

مطبعة النعمان — لصاحبها حسن ابراهيم الكتبي

دون غيرها حتى تحتضن الملايين بل ومئات الملايين .

اترى كل ذلك من أجل جوار مرقد الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولم لا يكثر الدفن عند ولده الحسين بكربلاء ومنزلة الحسين سيد الشهداء لا تقل عن منزلة أبيه في نظر الشيعة الامامية . ليست القضية قضية حب وولاء فقط انما الحقيقة أعمق من هذا فهناك أخبار وآثار عن أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم تجعل لتربة النجف الاشرف وجوار علي عليه السلام خصائص ومميزات تنفرد بها دون غيرها وبها تمتاز على كل بقاع العالم واليك بعضها :

١ — ان الذي يدفن بجوار علي أمير المؤمنين عليه السلام يكون آمن ضغطة الارض .

٢ — وانه لا يرى عذاب القبر ما دام بهذا الجوار .

٣ — ويأمن من حساب منكر ونكير ، أي يسلم من أهوال البرزخ ، الى غير ذلك . هذه الآثار هي التي دعت الشيعة لحمل موتاها من أقاصي الأرض ليكونوا بجوار الامام عليه السلام ، فهي أكثر من الف عام وحتى اليوم والى ما شاء الله تحتضن الأجساد وتحنو عليها بين طياتها وذراتها الذهبية وتربتها النقية .

وكان من الحق أن تنبري الأقلام للكتابة عن هذه المزايا والخصائص وعن هؤلاء الفطاحل من رجالات الفكر الاسلامي فتتحف المكتبة الاسلامية بتأريخهم وتدوين آثارهم وتعيين مواضع قبورهم ، ومن الصنع الجميل والجميل جداً أن يقوم الاستاذ المحسن بسد هذه الثغرة في التأريخ وملأ هذا الفراغ . كثر الله من أمثاله وبارك في أعماله .

النجف الأشرف ٨/٦/١٩٦٤ جواد شبر

# بسم الله الرحمن الرحيم

## تمهيـــد

ستستغرب مما خطه القلم فى هذا المجال ، ستقول تطلع الى الحياة ، وبهجتها، ما بالك تذكر الموت وتدون عن القبور والاموات تطلع الى الحياة بمباهجها ، وازهارها ، وطليق هوائها العابق بالعطور ، واستمع الى تغريد البلابل ، وزقزقة العصفور ، انطلق بالحياة ودعها تملي عليك مادة لكتاب ،تغنى بالشعر وتسلى بالادب او وجه ذهنك شطر مكاسب الانسانية في العلم والاختراع ، في الابتكار والابداع وفي شتى المعـــارف ، مادهاك تصف القبور جديدها والدوارس ، وتبحث عن مكانها الاوسع في العالم ،تصرف وقتا وطاقة لتكتب عن شيء لايقدم البشرية للامام خطوة ، بل قد يحزنها ان قرأت ويستحوذ عليها الخوف .

نعم أريد ذلك لان الخوف اساس لنظام ، الخوف من الله طاعة ، والخوف من نقد المجتمع استقامه ، وان الخوف هـــذا مقصور على الانسان فقط ، قال شبنهاور : . . « الخوف من الموت هو رأس الحكمة وخاتمة كل عقيدة دينية » . . وللخوف حدود تقيد تصرفات الانسان ،حدود تسلك بالانسان طريقا يحفظ بقاءه ومن حوله .

وكفانا من الحياة متعة وخدعة ، فيها تنفسنا عبير الهواء ،

وشربنا عذب الماء واكلنا طيب الطعام ، وانشدنا نبلغ الارجاء صدى النشيد ، والهينا السمع بأعذب الالحان ، لبسنا من الكسوة الالوان وجلسنا على بساط الارض الاخضر في البستان وفي كل مكان ، سمعنا خرير الماء ، وحفيف الشجر ، ومسا كان للطير من نغم وشممنا عطر الزهر ، أخذنا من كل طيبات الحياة ما بذل منها وما ندر • وماذا كان لبني الانسان ، هل دامت لهم النعم ، هل مكثوا مساري المبهجة مترنحين في منيف القصور والدور والبروج ؟ ، كلا ثم كلا ، بل الانسان لامحالة زائل ، والقبر مقره الاخير وان زهت بعينه الحياة • • • وما ابدع ماذكر من شعر في هذا الصدد ، ما قاله الشيخ صالح الحروري :

كل يوم لـك رزق  اي فـرخ لا يـزق
فلكم قبلـك عاشت  امم شتى وخـلق
مرت الدنيـا عليهـم  مثلمـا قد مر برق

• • • الى قوله :

سوف تأتيك المنايا  بغتة فالموت حق
ايهـا المغرور رفقـا  ليس بعد الموت رفق
لـك فى انفـك يومـا  من تراب الارض نشق
وقصارى الخلق يومـا  لهم لحد يشق [1]

(١) شعراء الغري ـ ج١ ـ علي الخاقاني •

ونبه الخالق الذين غرتهم الحياة بملذاتها بقوله : « الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر » (١) الآية الكريمة . فالحياة دار فناء والآخرة دار خلود وبقاء ، فان كان القبر لامحيص نحن ساكنوه ، فلنصفه ، ولنمجد ذكراه بمقال نعده له ، فقد قال عنه الشاعر :

عدل القبر بيننا في حظوظ ... ميزتنا والقبر أعدل حاكم
حل فيه على الضعيف أخو البطـ ... ـش، وساوى الفقير رب الدراهم
وتخلى عن سيفه كل غاز ... وسلاعنه حبيبه كل هائم
الرفات السحيق فيه ينادي : اذكروا الموت . مامن الموت عاصم
ههنا المالكون للدور ملك ... وعظام الورى عظام رمائم
والوجوه الصباح شاهت كأن لم ... تك بالامس ناضرات نواعم

## كيف يواري الناس أمواتهم

ألا ، تجد ان الانسان تفنن في هذا المجال ، واختلف في كيفية مواراة سوءة اخيه ، تعلم من الغراب حين شاهده يبحث في الارض ليخفي جثة غراب آخر . حذا حذوه حين ادرك نفع هذه العملية في تخليص البشرية مما يتساقط منها ، جاء في الكتاب الكريم : « اني أريد ان تبوأ بأثمي واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ، فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري

(١) سورة التكاثر ، الآية ( ١ ، ٢ ) .

سوءة اخيه ، قال ياويلتا اعجزت ان أكون مثل هـذا الغراب فأواري سوءة اخي ، فأصبح من النادمين » (١)

قالوا هابيل اول ميت من الناس ، والقتل هذا أول جريمة ، واول دفن كان هو ما فعله الغراب الذي ارسله الله ليعلم الانسان عندما عجز عن مواراة سوءة اخيه .

وهناك جماعات بشرية تحت اليوم منحى آخر في مواراة موتاهم ، فالصينيون يحرقون موتاهم بالنار ، وأخيرا استخدموا الكهرباء ، وهم يجمعون رماد ميتهم ليضعونه فى قنينة صغيرة ، يعلقونها على الجدار تحت صورة المتوفي المعلقة أيضا . وهم قد صنعوا مواقد لحرق الجثث كما نصنع نحن مغاسل لتغسيلها ، وبعض الهنود يذرون رماد ميتهم في ماء نهر الكنج المقدس .

اما قبائل الدوجون في أفريقيا ، مراسيم الجنازة عندهم معقدة وطويلة ، تبدأ بزيارة رئيس السحرة ، ثم تبدأ التراتيل بلغة سحرية ، ثم حمل الجثمان يمنة ويسره ، وتستمر مراسيم الجنازة عدة أيام ، وذلك لاعداد الشباب لها من الالياف ، وتعقد حلقات الرقص والترتيلات الدينية وينصب محراب لكل ميت في مسكن الاسرة الاصلي ، ويتولى ادارته كبير الاسرة . وهم يكرمون جثث موتاهم لانها تشع عليهم قوى روحية مقابل التكريم (٢) .

---

(١) سورة المائدة : الآية ٢٩ ــ ٣١ .

(٢) راجع كتاب الديانات في افريقيا السوداء .

اما الباتتو في افريقيا فقد جمع رأيهم على ان يأكلوا لحم الميت ليلة مأتمه ، ثم يشنوا بحرق عظامه لينتفعوا بقواه الحيوية بأدماج لحمه في ابدانهم . وفي الوقت نفسه يكونوا قد محوه من الوجود بأحالته رمادا ،وضمنوا أستحالة عودته اليهم لينغص عليهم حياتهم . (١)

اما الشنتويون والبوذيون في اليابان ، وغيرها ، فأنهم يضعون الميت في حوض من زهر ، ثم يلف فى قماش ابيض ، ثم يشيع الى أن توضع الجثة على المحراب ، ويسر امامها المشيعون فردا فردا . ثم توضع الجثة في التنور حتى تصير رمادا . وعقيدة الياباني في الموت هي النهاية الطبيعية للحياة لايعقبها ثواب ولا عقاب (٢) .

وبعض عبدة النار لهم منهج خاص في مواراة سوءة ميتهم ، اذ انهم يتركون جثث موتاهم تأكلها العقبان في موضع خاص ، لاشك بعيد عن مكان سكناهم .

اما اليهود والمسيحيون فهم يدفنون موتاهم في طيات الارض كالمسلمين ، غير ان وضعهم لميتهم في قبره يختلف اسلوبه عما اقتفاه المسلمون في جعل وجه المتوفى شطر بيت الله الحرام .

---

(١) نفس المصدر .

(٢) جولة في ربوع آسيا — محمد ثابت — مكتبة النهضة المصرية ١٩٣٦ .

واختلفوا أيضا عن المسلمين في مجال اعداد قبورهم وتنسيقها ، حتى غدت مقابرهم بسبب عنايتهم ، تشبه الى حد ما الحدائق العامة والمنتزهات الجميلة . وطريقتهم انهم يضعون صخرة على القبر ، وغالبا تلصق عليها صورة المتوفى ، وحولها الوان من الزهر ، والشجر ، شاهدت مقابرهم في بغداد فوجدتها آية في التنسيق الجميل والتنظيم البديع .

وانا لا أريد ان اطيل الحديث في هذا الباب من الكتاب لانه قد صارت للناس عقائد وعادات عدة في اعداد امواتهم يوم توديعهم الى مثواهم الاخير ، فكل نحى يدبر طقوسا ، منها عادات لاغير ، ومنها مت الى الدين بصلة . والراغب في الاستزاده والتطلع في هذا الصدد ، يجد ان أساليب اعداد لوازم الاموات عند البشر متفاوته ، وكذلك اساليب التخلص من الجثث ، وقد يجدها وهي تملي عليه كتابا ان أراد في القول اسهابا .

وبنو الانسان أعدوا من الارض قطعا دعوها مقابر ، واتسعت المقابر ، وتحدث الناس عن اوسعها ، قالوا في الصين مقبرة واسعة ، ونشرت المجلات العربية عن بعض المقابر اذ ذكرت مجلة العربي في اول عدد صدر منها عن مقبرة في البحرين تضم مليون قبر في الصحراء تقع جنوب البحرين ، وعدت تلك المقبرة بأنها اكبر مقبرة في الشرق العربي ، كان عدد القبور مليونا وأخذ الرقم يتضائل الى

الآلاف وفي هذه المقبرة مثوى حضارات كانت فيما مضى ازهر حضارات من عهد الاشوريين والبابلين والكلدانيين الى الفينيقين الى اليونان الى الفرس وأخيرا الى العرب وتذكر المجلة أن هذه القبور قد حيرت خبراء الآثار في العالم . . . انها عبارة عن تلال رملية صغيرة ، ارتفاعها يتراوح بين أثني عشر قدما واربعين قدما ، كل تل منها مختلف عن غيره ، وبعض هذه التلال مبني من طابقين على هيئة بناية مشيدة من كتل مرصوصة رصا منتظما ، وان معظم هذه القبور نبشت وسرقت محتوياتها .

وفى جنوة من ايطاليا مقبرة واسعة جدا اخبرني عنها بعض من اصدقائي الذين شاهدوها ، بأنها تحفة رائعة ، كأن قبورها منحوتة نحتا ، واهلها يعيدون بناء ما اوشك من قبورها على الانهيار ، وشجروها ، وزرعوا فيها الازهار ، وقالوا عنها ، انها تعد اوسع مقابر العالم قاطبة ، واجودها تنسيقا وتنظيما وجمالا .

وفي اصفهان من مدن ايران مقبرة اسمها « تخت فولاد » هي آية في الروعة والتنسيق والتنظيم ، تضم عددا كبيرا من قبور الشيعة ، وتعد من آثار المدينة الشاخصة ، التي لابد لكل زائر يؤم المدينة من زيارتها ، والتطلع على نظامها والتزود حكمة من سكونهـا .

اما مقبرة وادي السلام التي هي مادة بحثنا ربما احتلت المرتبة

الثانية بين مقابر العالم من حيث السعة والتنظيم ، سنتحدث عنها ما أمكننا الحديث مبتدئين بالتمهيد عنها ذاكرين ما يجري خلالها من اعمال وعادات .

ان هذه المقبرة « مقبرة وادي السلام » تقع في مدينة النجف الاشرف ، المدينة العامرة التي تحيط بمشرفها الامام علي ( ع ) فهي مدينة مشرفة تضم بين جوانحها الجسم الزكي الطاهرة جسم أمير المؤمنين علي عليه السلام ، ولهذا احتلت زعامة دينية كبرى، ومن بعددفن الامام علي (ع) فيها توالى الدفن فيها وجلبت الاجساد لترقد الى جواره من جهات قريبة الى النجف، ودفنت أيضا أجساد الذين سكنوا الى جوار الامام ( ع ) . واخيرا أخذت تؤم النجف من كل حدب وصوب وحتى من الاقاصي الاسلامية اجساد تتبعها اجساد لتنال من لدن الامام شفاعة يوم حساب .

وقد تسألني أخيرا ما الذي حداك ان تكتب في هذا الموضوع وجوابك انني لم أجد موضوعا مستقلا قد كتب عن المقبرة غير أن هناك فقرات صغيرة قصيرة متناثر هنا وهناك في كتب التاريخ، مع العلم ان للمقبرة هذه على وساعتها أثرا بارزا بالغ الاهمية في اقتصاديات المدينة ومكانتها الدينية ، فراود ذهني ان اجوب بين اكنافها تارة وبين طيات الكتب تارة اخرى،واسطر موضوعا علّه يفي بالمراد ، فبدأت بأهتمام مفصحا عن أثر صمت المقبرة وهدوئها

وما يحدث فيها من عمليات دفن وعادات تجري عند وبعد توديع الموتى ، وما يجري لتخفيف وحشتهم وغربتهم ، وقلت ان المقبرة في هدوئها وصمتها حكمة بالغة ، وذكرت بعد ذلك شيئا عن تأريخها ، وتساءلت عن أول انسان دفن فيها ، وشكل المقبرة قديما وحديثاً ، وبينت التطور الملموس في أشكال القبور • وستجدني قد وافيتك أيضاعن السراديب التي تضمها المقبرة، والمقامات المشرفة فيها وافصحت لك عن سر اختيار هذه البقعة بالذات مكاناً للدفن، وسر تسميتها بوادي السلام ، وأوجزت شيئاً عن تربتها وهوائها ، والشارع الملتوي المار خلالها هل له من أثر في ظهور بنايات حديثة؟! وستجد ان الكتاب قد وصف المقبرة وصفاً جغرافياً وتأريخياً ، وهناك في وسط الموضوع ونهايته مواضيع فرعية تزيد في تكامله تقريباً منها : —

* المداخل الرئيسية الى المقبرة •
* مراسيم التغسيل والدفن •
* المشتغلون فيها •
* عملهم خدمة انسانية •
* هل في عملهم احتكار ؟
* العوائل المتفرغة للأشتغال في المقبرة •
* المقبرة مقسمة والأعمال كذلك •

* الصحن الشريف ومشكلة الدفن فيه .
* احصائيات .
* مشاكل لابد من حلها .
* الأموات الذين يودعون في الخارج ثم يجلبون الى النجف من بعد حين من توديع .
* هل للمواصلات من أثر ؟!
* الدفن في سراديب المنازل .
* الصخور المنحوتة الموضوعة على واجهات القبور فن رائع ابدعته أيدي نجفية .

وغير ذلك من المواضع الكثيرة يمكن القارىء التعرف عليها من قراءة الفهرست الموضوع في صدر الكتاب . ولقد ذكرت ان مواضيع فرعية مثل هذه تزيد في تكامل الموضوع تقريباً حيث اني لم أكن قد تناولت جوانب الموضوع كله وبأستيعاب .

# المقبرة في هدوئها وصمتها حكمة بالغة

عدت بعد أن أمضيت وقتاً قليلاً في مقبرة تعد اليوم من أوسع مقابر العالم ان لم تكن أوسعها على الاطلاق ، عدت اتعثر لشرود ذهني وارتخاء أعضاء جسمي إثر خشوع دبّ في أوصالي ، كنت أرى قبوراً متزاحمة في أجوافها ناس نائمة ، نائمة الى يوم بعث وحساب ، أجسامهم كتفاً على كتف وهي واحدة ، ولكن أرواحهم سرّها عند بارئها ، وأعمالهم متباينة فمنهم من انتقل الى رحمة الله وجواره وبمشيئته حاملاً سجل أعماله مفعماً بالصلاح فهو من المفلحين ، وآخرون دون ذلك بدرجات .

هدوء سائد مخيم على مقبرة أرجاؤها واسعة ، ترى هذا قبر قديم لرجل مات من زمان بعيد ، وهذا آخر بعد لم يجف ماء بنائه فهو جديد . ومن بعيد سمعت بكاء وآهات امرأة تجري وراء رجل يحمل أخاها الى مخدعه الأخير ، وهي تنوح وتتعثر ، والحمال يجري مسرعاً لا يبالي ، وكأنه متعمداً يدري إنه لا فائدة من التمهل ، اذ ان الاسراع لمواراته في طيات الارض خير من بقائه على سطحها فيتفسخ ويتعفن ، ذلك هو الانسان المغرور الذي يملأ الدنيا ضجيجاً يملأها حلقات ودوائر من ساعة يقذف فيها الى أن يبلغ القاع ، يهدأ بعد ذلك ويستكين ، محباً العودة الى امه الارض .

ومن بعيد شاهدت ثلة من نساء في صراخ وبكاء ، فقد مرَّ على فقيدهن أربعون يومابينهن النادبة الناعية المدعاة — بالملا — وبعد فترة وجيزة ينهضن ليكونَّ حلقةً يجلنَّ في وسطها لاطمات من كنَّ أقرب الى الفقيد صلة ، وبعد انتهاء دعاء ، وتوزيع سيكاير وحلوى على الجميع تقرأ الفاتحة ثم ترى الوجوه ضاحكة مستبشرة بعد عويل وبكاء ، وكأن الجميع يقولون حسب ما تبديه سمات وجوههم ، الموت حق ونتيجة لا مندوحة منها حتمها الخالق على الاحياء في دار فناء ، وهو درب سلكه السابقون ، ولا محالة من سلوك الأحياء له ، فهم لاحقون وايم الحق لاحقون . وبينما انا في هذه الحال تراودني وتخالجني أفكار وافكار في شأن الدنيا وغرورها ، ومصير الانسان المحتوم ، وما كدت أن اتمم تلاوة البيتين اللذين تذكرتهما وقد كانا في صدد وصف الحياة والانسان والممات وهما :

وأرى الممات لدى الحياة محطة وكأنمـا هو في الحياة قطـار
ركبت علية حيـاته فجرى بها فكأنما الانفاس منه بخـار

حتى سمعت صوتاً مزق الصمت والوجوم ، جذبني اليه ، وهو قريب جداً قريب يقول : اللهم انزله منزلاً حسناً مباركاً وأنت خير المنزلين ... واذا بادرتني بالسؤال عن ذلك كان جوابك ، ان هناك عملية دفن انسان ودع الدنيا ، وهذا الرجل الواهن الجسم

الكبير السن هو الملقن ... يلقن الموتى ، ويكسب رزقه ... وأخذ الملقن يتلو ويذكر وأنا في عالم الأسى واللوعة والأفكار المتضاربة أخوض : « هل أنت على العهد الذي فارقتنا عليه — الملقن مستمراً — من شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإن محمداً (ص) عبده ورسوله وسيد النبيين وخاتم المرسلين ، وان علياً أمير المؤمنين ، وسيد الوصيين امام افترض الله طاعته على العالمين ، وان الحسن والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، وموسى بن جعفر ، وعلي بن موسى ، ومحمد بن علي ، وعلي بن محمد ، والحسن بن علي ، والقائم الحجة المهدي صلوات الله عليهم أئمة المؤمنين وحجج الله على الخلق أجمعين وأئمتك أئمة هدى أبرار ، يا فلان اذا أتاك الملكان المقربان رسولين من عند الله تبارك وتعالى ، وسألاك عن ربك ، وعن قبلتك وعن أئمتك فلا تخف ، فقل في جوابهما ، الله ربي ومحمد (ص) ، نبيي ، والاسلام ديني ، والقرآن كتابي ، والكعبة قبلتي ، وأمير المؤمنين علي (ع) بن ابي طالب امامي ... ) ويستمر معدداً الأئمة ... جميعاً مذكره بهم ، ويستمر ليملي عليه كيفية الإجابة على أسئلة منكر ونكير « ... واعلم يا فلان بن فلان — ذاكراً اسم المتوفى — ان الله تبارك وتعالى نعم الرب وان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نعم النبي وان أمير المؤمنين علي بن

أحدهم ببنت شفة ، سوى أنك تسمع منهم زفرات وآهات ، كأنهم يقولون أن من مات مات ، ولن تبقى غير الذكريات ، ذكريات من عمل الحسنات .

واذا ابتغيت ان تجوس في وادي السلام مقبرة النجف ، لا تجد مندوحة من قراءة ما كتب على واجهات القبور ، على صخور نحتتهـــا أيدي نجفيـــة ، من شعر ونثر ، يسلي عليك الحكمة ، ويحبب اليك الصلاح ، ويبغض فيك مفاتن الدنيا وغرورها . واليك ما دونت من بعض ما قرأت :

إن في الوادي جملة من قبور كتب على واجهتها سور قصيرة أو بعض آيات من الكتاب الكريم أذكر منها ما يلي : هذا قبر كتب على واجهته :

بسم الله الرحمن الرحيم : تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً .

***

وهذا القبر كتب على واجهته هذه الآيات :

« يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فأدخلي في عبادي وادخلي جنتي ... » صدق الله العلي العظيم وصدق رسوله (ص) الكريم .

***

وبناية هذه كتب على واجهتها :

« كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ..»

***

وهذه بناية أخرى كتب على واجهتها :

« هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا »

***

وكتبت سور كثيرة من القرآن على واجهات قبور كثيرة ، جلها سورة الفاتحة والإخلاص وياسين . والواقع ان هذا العمل وما يشابهه ليس هو الهدف والغاية التي نزل القرآن من أجلها بل ان هذا الكتاب الكريم دستور للبشرية جمعاء فيه أخلاقها وعبادتها ومعارفها كلها ، فهو أجل من أن تتخذ آياته للمغفرة من بعد موت . فهو ينبغي أن تسير الحياة بموجب أحكامه في شتى مجالاتها .. أي ان القرآن يجب أن يعتمد عليه الرئيس في ادارة بلاده ، والموظف في عمله ، والحاكم في حكمه ، والمدرس في تنشئة جيله ، وبطريقة أوضح ان القرآن يجب أن لاينزوي عن الحياة في المسجد، وهو نظامها خير نظام ، لأنه يرجع اليه للتزود من مناهل الفضيلة ، ويرجع اليه في شأن عبادة ، وفي شأن حكم ، فيه السداد ، ومنه الرشاد ، وبه يستفاد في سياسة واقتصاد . . . وهو يشير الى سر كنه الوجود والخليقة .

أيسوغ لنا بقاء قرآننا لتلاوة عند أذان ، أو لتلاوة عند رؤوس الأموات ؟! أيبقى للتشفي من الأسقام ؟! أهذا هو منهج القرآن والغاية منه ؟!

***

أما الآن فسأقرؤك جملة من أقوال منظومة ومنثورة مأثورة ، دونتها لك نقلا من واجهات القبور ، وسيكون ولا شك ما يخالجك وأنت تقرأ مختلفاً تماماً عما خالجني واستحوذ عليّ وأنا أجوس وأكتب لك وقت الظهيرة من أيام شتاء سنة ١٩٦٤ ، ذلك الوقت الذي عينته لهذا الغرض ، كان السكون جاثماً على المقبرة ، غير ان للهواء حفيفاً وهو يداعب الأوراق التي مسكتها كما كان للقلم معها صرير عند تدوين منظوم ومنثور من واجهات القبور • ولكن الوجوم لا يدوم ، فما كان حتى سمعت طرق معول لشق لحد جديد ، وهناك تردد صوت تلاوة وارتفع النشيج •

غير اني لست آبها بهذا وذاك ، فلا بد من اتمام ما عزمت عليه ، فهممت الى انتقاء القول ، فحدجت قبراً ، فوجدت ان ما احتوت عليه صخرته من قول ، انما هو طلب للدفن الى جوار امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فالانسان في حياته يرى ، دون أدنى ريب ، ان في الرقود في القبر عزلة ووحشة ، لذا يطلب في آخر ساعة من حياته التي أوشكت على الأفول ، الدفن قريباً من

أحبائه وأئمته الأبرار والى جوار المؤمنين الآخرين الأخيار ، فيشهد بذلك الاطمئنان والأمان والرقود الهادىء ... وهكذا ندرك فحوى ومحتوى الأبيات التي دونت على واجهات قبور كثيرة ضمتها مقبرة النجف هي :

اذا مت فأدفني مجاور حيدر أبي شبر اعني بـه وشبير
فلست أخاف النار عند جواره ولا اتقي من منكر ونكير
فعار على حامي الحمى وهو في الحمى
اذا ضـاع في المرعى عقـال بعير

فهو فوق ذلك لا يخاف من النار لأنه جاور علي عليه السلام وطلب حماه ، فأنت يا قارئي ألا تحمي من يلوذ بك ويطلب حماك من خطر خاف مداهمته ، ألا تساعد من دخل دارك يستجير بك ، لاغرو ، في ان ماتتصف به اجابتك هو الايجاب ،هذا وانت معرض للخطأ والزلل ، فكيف لا يحمي الامام المعصوم من استجار به وجاوره ، راقداً في حماه ..

***

وقررت أن أنعم النظر مليا في أبيات لمحها بصري وهي : ـ

أشدد حيازيمك للموت فإن المـوت لاقيـكا
ولا تجزع من الموت اذا حـل بنـاديكا
ولا تغتـر بالدهـر وان كـان يواتيكا

كما اضحكك الدهـــر كذاك الدهر يبكيكا

... ، ذلك بعد ابتعادي عن ذاك القبر الذي كنت معـه بخطوات ، وقد نقشت نقشاً جميلاً ، أوقفتني عندها مخذولاً وجلاً والحق ان هذه الأبيات لن تملي عليَّ درساً ، بل نبهتني الى ما كنت أعرف ويعرف غيري ان الموت ملاقينا . وأطلت النظر الى القبر الذي ازدانت واجهته بهذه الأبيات التي اوقفتني عندها لتدوين واستفادة من نصح وارشاد وتذكير « والذكرى تنفع المؤمنين » ، فلا أرى سوى طابوق وجص ورمال دونها رميم . وقلت عجيب ماذا يذكر هذا الذي احتواه القبر من دنياه هل يذكر طيبها وبالغ خداعها ، هل يذكر ما جنته يداه وجناه لسانه وقلبه ، أين هو من دنيانا هل عاشها مثلما نعيشها ، هل خلد ما يستوجب ذكراه ، والترحم عليه بل والرجاء لتنوير مثواه . اما أنا فماذا دهاني ، كأني لا استطيع على الأستمرار فقد خارت قواي واحمرت عيناي ، قلت اللهم بك نستعين ، وإنا اليك راجعون ، اللهم ارحمنا وثبتنا على الايمان . ولمست طرفي ونهضت من جلستي التي حدثت دون ارادتي فى تلك الفينة التي جست خلالها هواجس الأفكار . واندفعت أجوب الوادي أبحث عن قول آخر أدونه .

***

وهاأنذا أشرفت على قبر كبير واسع الفناء دون على واجهته

أبيات باللغة الدارجة هي :

تبچي الدار والدلـــة عليهم  دهلن يا دمـــع عيني عليهم
اكرام ويعتب الخاطر عليهم  وياوسفهغدو حدر الوطيه [1]

ألا ترى أن في هذا القول ما يثير الأشجان ، ويهيج الاحزان، ولكن علام ؟ أعلا أمر لا شك دان أمرُ الخالق الباقي الديان ، ولكن هذا رجل كريم ترك مضيفه العامر .. لكل ضيف ، ترك موقد الافراح والقهوة ، تبكيه داره ويرثيه الخاطر الذي تصدع لفقده ، أليس من الحق أن يطلق من أغدق عليهم العطاء ، زفرات تتلوها زفرات .او يبقى في الدنيا كريم وبخيل ، او يمكث فيها غني وفقير ، بل لا يبقى عليها الشابع ولا المتضور جوع ، ولا المكتسي ولا اللابس الأسمال ، ولا الكريم المنبسط السريرة ، بلولا الجلف الجاف ، فالكل الى زوال الى سفر ناء .

***

وعلى هذا القبر أبيات اخرى زادت فيما دار في فكري تثبيتاً وقد كتبت على صخرة مرمر بخط حسن جميل :

وكم من عيون فيهقرت فقرحت  لفرقتـــه أجفانهـــا والمآقيـــا
أرى كل رام قد تطيش سهامه  وسهم المنايا ليس تخطي المراميا
فصبراً جميلاً واعتباراً بما مضى  فلا شيء إلا سوف يصبح فانيا

(١) الدلة : إناء القهوة ، الوطية : الأرض .

أهي تخطيء أسهم المنايا ، أو يتأخر لحظة من جاء أجله بل كل شيء الى زوال وفناء ، فأين نحن اذن من طول الأمل والرجاء ، أو عجباً لذاك الذي يبني في الهواء قصوراً حين يتمالكه الغرور وهو لا شك سيكون من أهل القبور .

***

ويا لعجب ما تنطق به أبيات هذا القبر الذي دنوت منه وتقصدت دلوف فنائه الواسع الظليل ، له قبّة صغيرة ملونة ، ومنارتان صغيرتان انيرتا بالكهرباء ، أمت من زمان أيها الميت ؟ ! ارتبكت الكلمات في فمي وتلجلج لساني ، وسهوت انه لا يجيب ان سألته ، وانتبهت بعد ذلك الى انه يمكن معرفة ما رمت اليه ، بقراءة تأريخ وفاته على صخرة في واجهة قبره ... وذكر على الصخرة انه قتيل ، وان هذا القتيل الشاكي قد وافاه القدر واحتواه القبر من زمان بعيد جداً ، ومعنى ذلك ن الذين قتلوه ماتوا أيضاً على أقرب تقدير . هذه نتيجتهم أيضاً فلماذا قتلوه ؟ لكن متى تنسى الطمع والجشع ، متى نعزف عن حب الظهور بالبطولة والقوة باتباع القسوة ... فهذا قتلوه اخوته من أبيه الذين حسبوه أحبائه ياليته لم يحسبهم هكذا فأسمع صاخيا الى ما يقول :

يا زائراً قبري من الاحيـــاء  قتلوني الاخوان من آبائي
قد كنت احسب انهم لي جنّة  ما كنت أحسب اخوتي أعدائي

وما فتأت اسير على مهل اتطلع الى تلك الآثار الشاخصة حتى حاذيت هذا القبر الذي يطلب صاحبه حسب ما نصت عليه الأبيات المدونة على واجهته من كل مستطرق قليلاً للترحم عليه ، وفي القول تحـذير وعبرة وتذكير ، فهو كان يزور القبور على الدوام ، ولكن ولا عجب أن أصبح من أهل القبور .. وهكذا أنت أيها الزائر ، فلا تغرنك الحياة بل عش بها فترة حياتك لباسك الفضيلة وشيمتك المحبة والتعاون ، كان قد دون على واجهته :

أيها الزائر قبري قف على قبري شوي[1]
واقرأ القرآن عنـدي رحمة تنزل عليَّ
طالما زرت قبوراً وأنا مثلك حيـا
لا تغرنك حيـاتك انمـا الدنيـا كفي

قلت صدقت قولاً ، وامعنت في الارشاد سنكون يوماً مثلك ولا يبقى لنا في الدنيا غير الصالح من الأعمال تتناقله عبر الزمن الأجيال وما تتلوها من أجيال .

***

وهذا يبلغ الاحياء بأبيات غير موزونة ربما سقطت منها عند النحت على الصخرة كلمات او حروف اذكرها اليك نصاً ، يقول :

يا قارىء الفاظ السـطور اترك الدنيا ودع فيها الغرور

---

(١) شوي : قليلاً .

انني كنت شـــابا متـــرفا  هاأنا أصبحت من أهل القبور

لا ينافي يامن حباك الله الى جواره ، كونك كنت مترفاً ولا ينافي ذلك سواك أيضا . ومعنى ذلك انه لا منافاة فى أن يكون الفتى مترفاً متنعماً وهو نظيف القلب ، سالم النية ردائه الفضيلة والمثل العليا ، يحب للناس ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه ، ورضاء الله عنه برضائهم عنه . وما أحسب الموت يتأخر عن اللحظة التي أرادها الله سواء اكان الموت لشاب قـــد أتى أم لشيخ . إلا اني أصيح معك هل يرعوي الشباب عن الغي والغرور بمفاتن الدنيا .

***

وصدفت عن القبر مكفهر الوجه مقطب الجبين ، منتفخ الأوداج ، مرتعد الأوصال ، لا يرتاح لمرآيا بال ، صائحاً بصوت متهدج ، سوف لاتغريني ايتها الدنيا مهما اوتيتي من بهجة وجمال . ورنوت الى المدينة صاخيا اليها السمع ،وقلت شتان بين صمتكم أيها الموتى وعجيج وضجيج المدينة ... لا شك انكم ملأتموها قبلنا . وبينا انا في ارجوحة الأفكار ، صدح في عيني شعاع القبة الذهبية المشرفة على الوادي كأنهـــا تبتسم لمن لاذ بصاحبها ، يا قارئي في هذه الفينة تهللت مني الاسارير ، وبدأت ابتساماتي تأخذ مجراها ، ووجدت انه استوجب عليَّ تهنئة هؤلاء الراقدين

حول امامهم امام المسلمين علي عليه السلام ، وسرعان ما شاهدت وأنا أخوض هذه الخوالج قبراً كتب عليه قول مسجوع هو :

علي حبــه جنــة  قسيم النــار والجنة
وصي المصطفى حقاً  امام الانس والجنة

***

وأنت اذا زرت صديقاً او لبيت له دعوة هل يصح حملك الزاد اليه ، كلا ، لأن ذلك مما يستقبح ، وينافي العرف عندنا ، فهذا القبر يشكو صاحبه دهره اذ لا معين لديه من الحسنات ولا ذخيرة عنده من زاد التقوى ، فأستمع الى ما كتب على الصخرة الموضوعة على واجهة قبره :

وفدت على الكريم بغير زاد  من الحسنات والقلب السليم
فحمل الزاد أقبح كــل شيء  اذا كان الوفود على الكريم

***

وهنا على هذا القبر خطت أبيات من الأبوذية العراقيــة والظاهر ان العبارات التي جاءت فيها غير واضحة وغير منسجمة مع بعضها ولكنها على كل حال عبرت عن خوالج الأم الحنون التي فقدت وليدها فأنت له وشكت من نوائب دهرها ، فهي بالجهد الجهيد صيرت منه ابنا كبيرا ، واذا به قد أرداه لاجل ، ففلت من بين يديها ليضمه التراب ، اسمعها تقول وقد دونت ما تقول على

وأجهة قبر ابنها :

بغياب ابني اظن دهري وحالي  سوه يبني رحت انت وحالي
وياك ابذلت مجهودي وحالي  كل هذا ورحت من بين ايديه

***

وهذه عبارات اخرى مسفرة عن خوالج أم رؤوم اخرى تنعى ابنتها التي هي فلذة كبدها ، قد غادرت الدنيا وهي في ريعان الشباب وعمر الورد ... العبارات المدونة هنا تدل على لوعة الأم الحانية الحنونة ، وحزنها المرير ، تهيج شجن من يقرأ وينعم فى معنى ما يقرأ ، كتبت :

دعوني على ابنتي ابكي وأندب  ففي القلب نار بالفـراق تلهب
وما كـان ظني ان يفرق بيننا  وسرعةهذا الموتما كنتاحسب

***

ولوعة الأم الحزينة تلك لا تختلف عن لوعة هذا الذي يبكي فقيده ، ويؤرخ عام وفاته بأبيات تنم عن أسفه وولهه لفقيده الغصن الغض الذي لوته وهصرته يد الردى دون على واجهة قبره:

ابكي شبابك يا سـمير مسامرا  شهب الدجى ارقا بقلب واله
غصن لوته يـد الردى أم انـه  ارخت (بدرا غاب بعد كماله)

***

واطللت بعدئذ على حشد من قبور أبكاني ولاء من ضمت

واحتوت ، ذلك الولاء الجم المتأصل لناصري دين الرحمن ، أئمتنا الأبرار الذين كان اصرارهم وكانت تضحيتهم بأطفالهم ونسائهم وأملاكهم وأرواحهم تدل على صدق وصية جدهم العظيم (ص) لهم برفع راية الاسلام من بعده ونشرها بين الأنام • فهذا المحب كتب على واجهة قبره :

مودتي لأمير النحل تكفيني بعد الممات وتجهيزي وتكفيني

نعم تكفيك المودة والمحبة للامام (ع) المرشد ، ولا تظهر محبتك ، ولا يبرز ولاؤك إلا باتباعك ما أوصى به وبلغ ، تكفيك حقاً هذه المودة لدلوف الجنة مع المؤمنين الأخيار الخالدين •

***

والى جنبه قبر دون على واجهته :

وطينتي عجنت من قبل تكويني بحب حيدر كيف النار تكويني

وآخر :

بقربك لذنا والقبور كثيرة ولكن من يحمي الجوار قليل

***

وآخر كتب على واجهة قبره يرجو من الاحياء المارين على قبره الترحم عليه والدعاء له بقراءة الفاتحة له ولباقي الموتى المؤمنين الرحمة والغفران ، وهو يعلن طلبه بأبيات من « الأبوذية العراقية » والظاهر ان هذه الأبيات غير موزونة :

كلمن يود حيـدر بنيتـه  على اليسقي من الكوثر بنيته
يخوتي على الدرب گبري بنيته  رجائي الفاتحه من اليمر بيـه

وهذا قبر على منواله اذ كتب على واجهته :

بنيتم قبري على الطريق  أرجو الفاتحه من الصديق

***

وهذه نخبة من شباب يافع شبابهم ، ودان جني ثمارهم ، وهم في مرحلة القوة بين ضعفين ... فاذا بعودهم الصلب الرشيق ينثني ، وماء شبابهم ينضب ولا مرد لامر الله ، وبأفول نجمهم الشارخ غدوا رهن تراب :

فهذا كتب على واجهة قبره :

يا قارىء كتـابي  ابكي على شبابي
بالأمس كنت حيـاً  واليوم في التراب

***

وآخر كتب على واجهة قبره :

قف على قبري قليلاً ذاكراً  من ربيع العمر أيام الشباب
ذهب العمـر فأضحى حلماً  وشبابي قد غدا رهن التراب

***

وآخر كتب على واجهة قبره :

برعم رف فيه ماء الشباب  ولقد جف لهف نفسي عليه

وهذا قبر شاب قد عنى أهله به وهو طبيب عالج المرضى وأنقذهم من ويلات المرض ، ولكن المنية لا مرد لها ان جاءت فهي تحيل الطبيب الصاحي البدن والرجل المريض المعتل البدن الى رقود في عفر ثري ، كتب على واجهة قبره :

هاهنا يرقد في عفر الثرى  المعي وهب الطب حيـاة

***

وعلى واجهات قبور كثيرة رثا الاحياء موتاهم وأرخو وفاتهم مبشرين اياهم بالجنان والمغفرة من الرحمن المستعان ، وقالوا لهم ان مفاجئة المنون لكم ان هي إلا رغبة خالقكم ان تكونوا الى جواره وهي منّة ورحمة ورضوان ، وانه ليس في هذه الحبوة والحضوة ما يؤلم النفس ويهينها :

فهذا القبر كتب على واجهته :

فيامن قـد ثوى في طي لحـد  لك البشـرى بجنـات النعيم
تفاجئك المنون بلا انتظـار  ولا داء امضـى من القـديم

***

وعلى قبر آخر :

هنا يرقـد العبد المطيع لربه  بخير واحسان من الله يسعد
وحياه رضوان النعيم مبشرا  بجنات عدن والشفيع محمد
دعاه الى زهد الجنان مؤرخاً  شهيداً مضى للزهد عبد موحد

وآخر كتب على واجهة قبره :

ثوى أبا المهدي في مرقد يحكى شذاه جنة الخلد
يهنأ بالخلد فتأريخه بشراك في الخلد أبا المهدي

***

وهنا شيخ كذلك الشاب يصف لك حياته التي قضاها قبل أن تعاجله المنية ، انه كان شيخاً مطاعاً متبجحاً بجبورته ، وكأن زرعه لا يصفر ، وخيره لا ينضب ، وحياته دائمة ... يقول حسبما تنطق به الألفاظ المدونة على واجهة قبره ، ان الوسادة الحريرية لم تنفعه بأتكاء ، وان صوته الصارخ في فقراء الناس كان له خفوت ، ويده ماسكة السوط السارقة لمال الناس ها هي دونك رميم ، ولسانه الثالب لعرض الناس الجاحد لنعم الله هل له من أثر ؟!.. يقول :

يا قارىء الفاظ السطور اترك الدنيا ودع فيها الغرور
انني شيخاً نظيفاً مترفاً ها أنا أصبحت من أهل القبور(١)

***

وقرأت في مجال آخر وعلى قبر يروي قصة موت صاحبه ،

---

(١) ملاحظة : لقد آثرت ان انقل ما كتب على واجهات القبور نصاً دون أدنى تحريف ، فعذراً ان جاء في الشعر عدم انسجام ووزن .

وكيف عاجلته المنية ، وداهمته الأقدار وهو ذاهب لقضاء حاجة وكسب معاش ، وكان ذلك وقت الظهيرة ، فهو كان أطل على فجر الشباب ، واذا بشبابه الشارخ بحيوته وغضارته ويفعه يغدو رهن تراب ويستحيل الى رميم ورفات ... وهو أثناء ذلك يرشد الاحياء من الناس ان يرعوا عن غيهم ويطلب منهم كبح جماح جبروتهم ، وان لا يمشوا في الأرض مترفحين بسلوك لا يرتضيه الله ..

وهذا آخر مثله دهسته سيارة ، وراح ضحية رعونة طائشة من سائق أغوته جلسته على مقعد سيارته ، يداعب أجفانه النسيم المارق من نافذة سيارته وهو غارق في أماني الدنيا وأحلامها ، ولكن بسحقه هذا الشاب عصفت أمانيه وازفت أحلامه ... كتب على واجهة قبر المدهوس هذا القول باللغة الدارجة :

جفن العين كلي وسطه دامي
على الطيبات اركض واسطه دامي
شباب آنه يقاري وسطه دامي
سياره اجلبت ليَّ المنية

***

وهذا بيت من الشعر شاهدته مكتوباً على واجهات قبور كثيرة وهو يذكر الناس ويعضهم بأن لهم يوماً محتوماً لا شك ولا مرية فيه وان طال العمر ... اذ أنه لا مفر من حقيقة واقعة هي

حقيقة الموت ... وهو :

كل ابن انثى وان طالت سلامته يوماً على آلــة حدباء محمول

***

وهذا يقول وكأنه هو المتكلم ، موضحاً ، انه مات ليكون ضيفاً على الامام علي عليه السلام :

اليك سلمني من كان يعضدني بنور وجهك اعتقني من النار
نزلت في حفرة قفراء موحشة من أهل بيتي وأولادي وانصاري

***

وفي اللحظة هذه ولجت جانباً من المقبرة وسيع الأركان ، اختلف في تنسيق قبوره ، وتصميم بنائها عمن سواها ، انــه للفرس ، وان واجهات هذه القبور ، فوق ذلك عريضة مزينــة بصخور كبيرة من المرمر مزدانة بآيات قرآنية . واغلب الصخور تكتب في أركانها العليا ، فمثلاً هذه الصخرة كتب في الركن الأول العلوي منها كلمة « هو الحي » وفي الركن الثاني من الأعلى كلمة « هو الباقي » وبينهما البيتين اللذين سبق وان ذكرناهما ، وهما :

وفدت على الكريم بغير زاد من الحسنات والقلب السليم
فحمل الزاد أقبح كــل شيء اذا كان الوفود على الكريم

***

وهذا القبر كتب على واجهته سورة ياسين جميعها ، وكتبت

فوق ذلك ، أشعار باللغة الفارسية هي :

درر وز جزاكه جملة خلقان زده صف
دارند ممسه نامه اعمـــال بكف
دست من ودامان ثويا شاه نجف
افسوس كه ٤ وح دربدن يست مرا
آن بلبل مست در چمن پست مرا
ايكة برما بكذري دامي كشان
از سر اخلاص باسيني بخوان

***

وهذا القبر كان الى جوار سابقه وقد دون على صخرته ما يلي : ففي الركن الأول من صخرة المرمر كتب « يا منان » وفي الركن الثاني كتب « يا حنان » وفي الثالث « يا غفران » وفي الاخير « يا سبحان » وفي وسط الصخرة كتبت الأبيات الشعرية الفارسية التالية :

حاجية صفية خانم مقصوري برست
از محنت روزگا در خاك نشست
درسن جهل وينج بصدرنج وتعب
با حسرت دردل وجهان جشم بست
بدختر حاج علائي ارتقت

كز يزد بهند آمد وبيمار نجست
درر وزسه شنبه بسيت وهشم ورجب
سال يك سه ، سذفت نه حق بيوست

***

وقبور اخرى كثيرة كتبت على واجهاتها أقوال منثورة فهذا القبر كتب على واجهته :

قد ارتحل من دار الفناء الى دار البقاء .

***

وآخر كتب على واجهةقبره وعلى واجهات قبور كثيرةاخرى:

هو الباقي ، هو الحي الذي لا يموت ، يا الله يا محمد يا علي .

***

وآخر كتب على واجهة قبره :

قد انتقلت من دار المحنة والغرور ... الى دار الرحمة والسرور .

***

وآخر كتب على واجهته :

يالك من أرض هي الامـان لمن بهـا والفوز والرضوان
خط الياسمين وقـد ارخته بها ضريح ملؤه ريحـان

***

وآخر كتب على واجهة قبره :

اذا شئت النجاةفزر حسينا لكي تلقى الاله قرير عينِ
لان النار ليس تمس جسما عليه غبـــار زوار الحسينِ

***

وقد رسم على واجهات بعض القبور اوانٍ تدل على كرم الميت وطيب نفسه كأن ترسم الدلة ( اناء القهوة ) أو المضيف لتدل على حسن ضيافته وابائه وشهامته . أو قد ترسم السبحة الحسينية وازائها التربة لتدل على تقوى المتوفى والتزامه جانب الدين بقوة ، أو قد يرسم حصان وسيف الى جواره للاشارة الى شجاعة المتوفى في حياته ونخوته وفروسيته .

والرسوم التي توضع على واجهات القبور تشير مرة الى صفات المتوفى المعنوية ومثله المحمودة ، وتارة اخرى توضع الرسوم لتشير الى عمل ذلك الشخص المتوفى أثناء حياته فهذا المنجل المرسوم على واجهة هذا القبر يشير الى ان صاحبه فلاح خدم أرضه المعطاء أجل خدمة ، فجاد وجادت بخير مغدق على مجتمعه ، ولهذا فهو قد ودع الحياة وهو مرتاح الضمير راضٍ عن نفسه ، فعسى الله يرضى عنه . و قد توضع على واجهات بعض القبور أدوات الحدادة والبناء والنجارة والخياطة لتدل أيضاً على نوع العمل الذي كان يحترفه المتوفى في مجرى حياته .

وأحياناً تشير بعض الرسوم الموضوعة على واجهات بعض القبور الى أسباب موت الذين انضووا تحتها ، فمثلاً هذا قتل ، فوضع على واجهة قبره رسم سكين أو مسدس أو بندقية ، وهذا دهس فرسمت على واجهة قبره سيارة ... الخ .

عزيزي القارىء أرجو أن تسمح لي ان اعتذر فأني قد اطلت عليك المقام وأجهدتك قليلاً وأنا لم أكن دخلت في صلب الموضوع الذي اريد تبيانه عن مقبرة النجف ولعلك اكتسبت عبرة مما قلت، وحري ان تعلم انه لم يكن في حسباني قصد بث التشاؤم في نفسك وترك المرح الذي هو ضرورة ماسة لرفاه النفس ونبراس لسعادتها، ولكني وصفت خلجات جالت في ذهني وأنا ادخل اوسع مقابر الشرق العربي والاسلامي ، ودونت لك ما دون على واجهات القبور . إذن فلنتمهل ما دمنا سنكون في هذا الكون نسياً منسياً، ولنسر على الأرض بخطوات متزنة ما دمنا منها وسنعود اليها ، نعمل ونمرح عليها بإتزان ولياقة حسب ما ترتضيه الأخلاق وتبتغيه المثل العليا وقد قال أبو العتاهية في صدد ذلك :

نعم الفراش الأرض فأقنع به
وكن عن الشر قصير الخطى

اما الآن فدعني أعود لأقول كما بدأت القول : مقبرة النجف أو « وادي السلام » في هدوئها وصمتها حكمة بالغة .

# المقبرة في التأريخ

إن تأريخ هذه المقبرة يبدأ ، من بعد كشف قبر الامام علي عليه السلام ، فحين خرج الرشيد ذات يوم ، كما تنص على ذلك كتب التأريخ ، الى ظاهر الكوفة يتصيد ، وهناك حمر وحشية وغزلان فكان كلما القي الصقور والكلاب عليها لجأت الى كثيب رملي هناك ، فترجع عنها الصقور والكلاب فتعجب الرشيد من ذلك ورجع الى الكوفة وطلب من له علم بذلك فأخبره بعض شيوخ الكوفة ، انه قبر أمير المؤمنين علي (ع) فأمر الرشيد ببناء قبة عليه فبنيت، وأخذ الناس يزورونه ويدفنون موتاهم جواره [1] .

وقد نظم هذه الرواية صاحب كتاب عنوان الشرف في وشي النجف شعراً وضمنها كتابه [2] :

وقال أيضاً خـرج الرشيد يصطاد في الغري ما يريـد
وعن سـرب فأقتفى لجؤذر وأرسل الفهد وراه ينبري

(١) راجع كتـاب الأنوار الحسينية والشعائر الاسلامية (مطبعة هور * بمبئي سنة ١٣٤٦ لشيخ العراقين عبد الرضا آل كاشف الغطاء النجفي ) .

(٢) عنوان الشرف في وشي النجف « للشيخ محمد بن الشيخ طاهر السماوي رحمه الله » ١٣٦٠ هـ الطبعة الأولى ص ٢٩ .

فـلاذ بين الربوات البيض ... وما انبرى الفهد مع التحريض
بل اثنى من دونهن واقفاً ... فظنـه من قـد رآه خائفاً
ثم عدا الجؤذر والفهد عطف ... فعاود الجؤذر والفهد وقف
وهكذا فاستغرب الرشـيد ... من صنع فهد لم يزل يصيد
ثم دعا شيوخ تلك الناحيـة ... فقال هذي الربوات ماهي
فقـال شيخ منهم ان اؤمن ... أقـل بعلم الربوات البين
فقال قد امنت من كل البشر ... فلا تكن في خيفة ولا حذر
فقال هـذا جدث ابن عمك ... من لحمـه مختلط بلحمك
قبر أمـير المؤمنين المرتضى ... قد زاره جل بنيـه ومضى
وافيتهم أنا ووافاهـم أبي ... وجملة من قـدماء العرب
فأعتقد الرشيد في كـلامه ... وزاد ما شـاء من اكرامه
ثم بنا قبته ابتـداءاً ... وضـم فيهـا جرة خضراء
وعرّف الناس بتلك التربـة ... وربمـا صلى هنـاك قربه
وانثالت المعـاجز البوادي ... لساكني البلدان والبوادي

ومنذ ذلك الحين بدأ تأريخ المقبرة التي اتخذت هذا المكان بالذات ، ويقدر عمرها اليوم بـ ( ١٣٥٠ سنة ) تقريباً ، وتقدر مساحتها أيضاً بـ ( ٣٧ كم٢ ) .

وروي ان امير المؤمنين علي عليه السلام في حياته نظر الى ظهر الكوفة فقال : ما أحسن منظرك وأطيب قعرك اللهم اجعله

قبري [١] .

وروي أيضاً ان امير المؤمنين (ع) كان اذا أراد خلوة بنفسه أتى الى طرف الغري ، فبينما هو ذات يوم هناك مشرف على النجف ، واذا برجل قد أقبل من البر راكباً على ناقته وقدامه جنازة ، فحين رأى علياً عليه السلام قصده حتى وصل اليه وسلم عليه ، فرد عليه السلام وقال له : من اين ؟ قال : من اليمن قال وما هذه الجنازة التي معك ، قال جنازة والدي أتيت لأدفنها في هذه الأرض . فقال له عليه السلام : لمَ لا تدفنه في أرضكم ؟ فقال : أوصى اليَّ بذلك ، وقال : انه يدفن هناك رجل يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر ، فقال له (ع) : أتعرف ذلك الرجل ؟ ، قال له : لا ، قال علي عليه السلام : أنا والله ذلك الرجل قم فأدفن أباك [٢] .

وبسبب تواتر الأخبار عن فضل هذه البقعة المقدسة وانتشار صيتها في حياة أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد دفن اناس كثيرون

---

(١) راجع كتاب سفينة البحار جـ ١ ، جـ ٢ .

(٢) ارشاد القلوب — للديلمي ص ١٣٣ ، وراجع سفينة البحار جـ ١ ، جـ ٢ .

قبل أن يدفن فيها مشرفها الامام علي بن ابي طالب (ع) [1] .

## لماذا سميت بوادي السلام ؟

قد يكون اسم المقبرة أو عنوان الكتاب داع لسؤال ومحرض على استفسار ، لماذا دعيت المقبرة بهذا الاسم ، « وادي السلام »؟ اسلام فيها يسود أحياء يدبون بين أكنافها يعملون ويرجون نيل مغفرة ويترحمون لمن سبق ، أم سلام وامان يسود من وري ضمن طبقاتها ؟ الأخبار المتواترة تذكر وتؤكد ، وهي خير جواب ، في ان مقبرةالنجفمجمع وسيعالرقعة لجميع أرواح المؤمنين ،ومن قصيدة للسماوي في كتابه وشي النجف ، معتمداً في نظمه على الأخبار الواردة الناصة على ان وادي السلام محشر ، وانه تنقل اليه الملائكة ، الموالين والمؤمنين الأخيار من الناس ... قال :

ثرى اليه محشر الأموات  في الدفن بالنقل على الأوقات
فكم به من ملك نقال  انشأه لذاك ذو الجلال

ومزية اخرى مدعاة لاطمئنان وسلام هي رفع حساب عمن دفن فيها ، لا شك بقصد تخفيف عقاب ، لمن استجار وجاور ، قال السماوي أيضاً في كتابه السابق ذكره في ص ١٢ :

---

(١) راجع ص ٢٣٤ ــ ٢٣٥ من كتاب ماضي النجف وحاضرها للمرحوم العلامة المؤرخ جعفر محبوبة .

ثرى بـه أمن عـذاب البرزخ

من حيث جيء فرسخاً فى فرسخ

فان من يدفن خلف الخنـدقِ

عنـد علي لم يخف ممـا لقي

وتروي كتب التأريخ وتسند ما تروي غرض تأكيد وللقول تسديد ، ان وادي السلام بمعنى « وادي السلامة » انه آمن من كل آفة من آفات الأرض وحشراتها ، وان المقبرة بقعة من جنة عدن ودار سلام أو وادي سلام ، ولا ريب ان الجنة ودار السلام موضع مجمع الارواح الطيبة ، لايكون فيه أي صنف من عذاب ، وإلا فليست هي بدار سلام على معنى الأمان والسلامة ، وقـد أشار الى ذلك عبدالحسين المبارك في بشارة الزائرين • اذن ان هذه الأمور مجتمعة سبيل لأمن يرجوه مودعي الدنيا ، وهي تنال في وادي السلام ، والاحياء الذين يزورون هذا الوادي يجدون ما يحبون من أمان وسلام ، فكل من دخل المقبرة دخل قلبه الخشوع والرهبة ، رهبة المصير المحتوم •

## هل بالامكان معرفة أول انسان دفن فى النجف ؟

ان النجف كانت قبل دفن الامام علي عليه السلام قرية صغيرة لا تأخذ شكلاً منتظماً ، بل بيوتاً متفرقة وكان من عادة الناس دفن موتاهم في مكان لم يكن ناء جدا عن حيهم أو مكان سكناهم،

والمعروف في كتب التأريخ بأن الامام علي عليـــه السلام دفن
طرف من حافة هذه القرية ، كما ان الرواة والمؤرخين ، يذكرو
في كتاباتهم الجمة بأن الامام (ع) بعدان تولى غسله الحسن والحس
وعبدالله بن العباس دفن في ليلته في الموضع الذي يزار به الآن
وقد اعده له أبوه نوح عليه السلام بين قبره وقبر آدم (ع) ، و
جوار هود وصالح (ع) [1] .

فعند دخولك الضريح الشريف لزيارة ونيل شفاعة ، تقرأ أو
الدعاء وتطلب الاذن بالدخول من الرجل العظيم الراقد ، تواجه
جملة من الدعاء وهي : السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونو
وعلى جاريك هود وصالح .

وفي الأخبار الواردة منها ، ان خبراً قد جاء عن لسان عد
رواة ثقاة تناقلوه عن بعضهم البعض ، عن مصدره الأول ابي عبدا
عليه السلام انه قال : ان الله تبارك وتعالى أوصى الى نوح (ع
وهو في السفينة ان يطوف بالبيت اسبوعاً فطاف بالبيت اسبوعاً
كما أوصى الله اليه ، ثم نزل في الماء الى ركبته فاستخرج تابو
فيه عظام آدم (ع) ، فحمل التابوت في جوف السفينة حتى طاف
في البيت ما شاء الله أن يطوف ثم ورد الى باب الكوفة في وسط
مسجدها ففيها قال الله للارض : « ابلعي ماءك » فبلعت ماءها

(١) الانوار الحسينية « الجزء الرابع ص ٣٦ » .

مسجد الكوفة كما بدأ الماء من مسجدها، وتفرق الجمع الذي كان مع نوح في السفينة فأخذ نوح التابوت فدفنه في الغري [1]، أي في المكان الذي رقد فيه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بعد ذلك .

وفي مزار البحار أن النبي نوح عليه السلام يرقد الى جوار أبينا آدم (ع) وقد قيل في هذا الصدد شعرا :

وجاء نوح بعد فيض العالم  الى الغري في عظام آدم
ثم هو اختار الغري مدفنا  لعلمه بدفن حيدر هنا

وقال السماوي في ارجوزته أيضاً :

علمت ان آدم ونوحاً  قد كان عنده مضروحاً

ودفن بعدهما جماعة من أهل القرية والأطراف القريبة منها ، وجاء الرجل اليماني بأبيه ليدفنه وقد شاهد دفنه علي عليه السلام ومقبرته تقع اليوم في الجانب الغربي من النجف عند حافة التل الذي تقع عليه المدينة أو عند حافة الهضبة الصحراوية ، ومقبرته تدعى اليوم بأسمه ، وهي مقبرة صافي صفا أو مقبرة الصفا والى جوار قبره تقريباً مقام لزين العابدين عليه السلام ومقبرة الصفا تزار هذا اليوم وتدار . ويلذ لي أن أتحدث عن هذا الرجل ، وكيفية معرفته بالامام ، وماذا دار بينه وبين الامام ، من مكاتبات وغير ذلك ، معتمداً على مراجع قديمة . ويطيب لي قبل ذلك ،

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله جزء ١١ ص ٢٢٨ .

أن اذكر ما ورد في كتاب منتهى المقال ، انه أول من دفن في النجف — الذي هو ظهر الكوفة — خبـاب بن الأرت ، من أصحاب رسول الله (ص) ، وهو الذي شهد بدراً وما بعدها ، وكان سادس ستة ، وهو معدود في المعذبين في الله ، نزل الكوفة ، ومات بها ، شهد مع علي (ع) صفين والنهروان ، وصلى علي (ع) عليه ، ووقف على قبره وقال : رحم الله خباباً ، أسلم راغباً ، وهاجر طائعاً ، وعاش مجاهداً ، وابتلى في جسمه أهوالاً ، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً [1] . ومثله في طبقات ابن سعد من القسم الأول في البدريين ص ١١٨ ، وقد ساق الحديث حتى انهاه الى ابن خباب قال : كان الناس يدفنون موتاهم بالكوفة في جبابينهم فلما ثقل خباب قال لي أي بني اذا أنا مت فأدفني بهذا الظهر فأنك لو دفنتني بالظهر ، قيل دفن بالظهر رجل من أصحاب رسول الله (ص) فدفن الناس موتاهم ، فلما مات خباب (ره) دفن في الظهر فكان أول مدفون بظهر الكوفة .

وأعود لاتحدث عن صافي صفا ، ولا يمكن الحديث إلا ان يكون المؤلف قد غاص قليلاً في زوايا التأريخ ، باحثاً ، ومنقباً ، ومصنفاً ما يقف عليه . فنحن بعد أن بينا جانباً من الرواية التي ملخصها أن رجلا من اليمن أوصى ابنه ان يدفنه في النجف ،

(١) راجع روضات الجنات ص ٢٤٧ .

وجاء به ، وصادف الامام كان خارجا للنزهة وقد جرى الحديث بين الرجل اليماني والامام عليه السلام ، وكان ختام الحديث أن أشار الامام علي اليه بدفنه في ظهر الكوفة . وأضحى قبره اليوم يسمى بأسمه وموقعه في جهة القبلة من البلدة وله خدم يتعاهدونه بالرعاية والعناية ، وعلى قبره قبة قديمة العهد كما ظهر من صخرة قديمة العهد كتب عليها ما نصه : بذل الجهد ، وسعى في اشادة هذه القبة الشريفة على مرقد مشيد الاسلام السيد العظم علاء الدين بن محمد المدني المداج ، بمشاهدة ملك الحاج المحتشم القهستاني في سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، وهناك صخرتان عليهما شعر وتأريخ (١) باللغة العربية ، تأريخهما يرجع الى أوائل القرن الثاني عشر الهجري وقد ذكرناهما في باب آخر من هذا الكتاب هو « أدب الجدران » .

كيف عرف صافي صفا انه سيدفن في النجف امام يدخل الناس في شفاعته ؟ هل كان لصافي صفا لقاء مع الامام عليه السلام؟ أكانت هناك مكاتبة بين الامام وصافي صفا ؟ ما هي منزلة وشأن هذا الرجل في اليمن ؟ هل هو قائد ؟ هل هو من سواد الشعب ؟ قد تلج عالم الاستفسار لتقع على الصواب ، كما بدأت أنا أبحث عن نوع الاتصال والمعرفة بينهما ان كانت هناك معرفة واتصال ،

(١) ماضي النجف ص ١٥٩ ، وراجع مشهد الامام ص ٩٥ .

ماوسعني البحث ،لكني لم أعثر على شيء سوى اني وجددت في كتاب مهج الدعوات لابن طاوس ، دعاء يدعى بدعاء اليماني ، كتبه الامام علي عليه السلام لاحد رجال اليمن اذكر لك نص التعليق أو الرواية ، وبعضاً من بداية الدعاء ونهايته ، وربما أدى بك ما نذكر الى القول بأن الذي قصدناه باليماني هو صافي صفا بعينه ليس إلا .

يقول السيد ابن طاووس [1] : حدثنا الشريف أبو الحسن زيد بن جعفر العلوي المحمدي ، قال حدثنا أبو الحسن محمد بن عبدالله بن السياط قرأته عليه ، قال حدثنا المغيرة بن عمر بن الوليد الغروي المكي بمكة قرأته عليه ، قال حدثنا أبو سعيد مفضل بن محمد الحسيني قرأته عليه ، قال حدثنا فضيل بن غياض عن عطا ابن السايب عن طاووس عن ابن عباس ، قال كنت ذات يوم جالساً عند أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب صلوات الله عليه نتذاكر فدخل ابنه الحسن صلوات الله عليه ، فقال يا أمير المؤمنين بالباب فارس يطلب الاذن عليك ، قد تضوعت منه رائحة المسك والعنبر ، فقال أذنت له ، فدخل رجل جسيم وسيم حسن الوجه والهيبة عليه لباس الملوك ، فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال علي (ع) وعليك السلام ،ثم أدناه وقربه ،فقال ياامير المؤمنين، إني صرت

(١) مهج الدعوات ــ لابن طاووس ص ١٤٢ .

اليك من أقصى بلاد اليمن ، وأنا رجل من أشراف العرب وممن ينتسب اليك ، وقد خلفت ورائي مملكة عظيمة ، ونعمة سابغة ، وضياعاً فاشية ، واني لفي غضارة العيش وخفض من الحال ، وبأزائي عدو يريد المزايلة والمغالبة على نعمتي ، همته التحصن والمخاتلة لي ، وقد نشر لمحاربتي ومناوشتي منذ حجج وأعوام ، وقد أعيتني فيه الحيلة ، وكنت يا أمير المؤمنين نمت ليلة ، فهتف بي هاتف ان قم واذهب الى خليفة الله أمير المؤمنين علي عليه السلام واسأله ان يعلمك الدعاء الذي علّمه اياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ففيه اسم الله الأعظم ، وكلماته التامات ، فإنك تستحق به من الله عز وجل الاجابة والنجاة من عدوك هذا المناصب لك فلما انتبهت لم أتمالك ، ولا عرجت على شيء حتى شخصت نحوك في أربعمائة عبد واني أشهد الله عز وجل ، واشهدك اني قد أعتقتهم لوجه الله عزوجل فأنهم أحرار ، وقد أزلت عنهم الرق والملكة ، وقد جئتك ياامير المؤمنين من بلد شاسع وموضع بعيد وفج عميق ، قد تضاءل في البلد بدني ونحل فيه جسمي ، فأمنن عليّ يا أمير المؤمنين بحق الأبوة والرحم الماسّة ، وعلمني هذا الدعاء الذي رأيت في نومي ان ارتحل فيه اليك ، فقال ، نعم ، ثم دعا بدواة وقرطاس ، فكتب فيه وكتبت أنا أيضا .

هذا هو الحديث الذي ذكر في كتاب مهج الدعوات مقدمة للدعاء اليماني ، ولان الدعاء .

اليماني طويل ، لذا أذكر منه بعضاً من بدايته وبعضاً من نهايته .

من الدعاء :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى أهل بيته أجمعين ، اللهم اني احمدك وأنت للحمد أهل على ما اختصصتني به من مواهب الرغائب واوصل اليَّ من فضائل الصنايع .... الى أن ينتهي الدعاء بـ ... وكن ليَّ أنيساً من كل وحشة واعصمني من كل هلكة انك لا تخلف الميعاد ،وصلى الله على محمد وآله الطاهرين » (١) .

فقال الرجل يا أمير المؤمنين حققت الظن وصدقت الرجاء وأديت حق الأبوة ، فجزاك الله جزاء المحسنين ، ثم قال يا أمير المؤمنين اني أريد ان أتصدق بعشرة آلاف دينار فمن المستحقون لذلك يا أمير المؤمنين ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : فرق ذلك في أهل الورع من حملة القرآن ، فما تزكوا الضيعة إلا عند أمثالهم ، فيقوون بها على عبادة ربهم ، وتلاوة كتابه ، فأنتهى الرجل الى ما أشار به امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ، ونصل بالقول الى اننا قد علمنا قصة الرجل اليماني الذي

---

(١) للاطلاع على الدعاء يراجع نفس المصدر السابق ص ١٤٤ — ١٤٩ .

مات وجاء به ابنه ليدفنه في النجف ليدخل في شفاعة علي (ع) ، وعرفنا بعد ذلك حديث ودعاء اليماني الذي انتصر على أعدائه والدائه بفضل علي عليه السلام والذي لم تذكر كتب التأريخ اسماً له وليس من المستبعد أبداً أن يكون الرجل اليماني صاحب الدعاء هو صافي صفا نفسه .

## موقع المقبرة

تقع المقبرة على العموم في شمال النجف حتى انها على وجه الدقة تحوط النجف حتى الشرق بل وقبل فتح الشارع « نجف — كوفة » من خلالها كانت تمتد الى الحافة الجنوبية الشرقية من المدينة .

## شكل المقبرة قديما وحديثا
## ولماذا اتخذت هذا المكان بالذات

ان هذه البقعة الكبيرة لم تكن أول أمرها واسعة الأرجاء مكتظة بالموتى ، كما نشاهدها اليوم بل كانت تضم قبوراً متفرقة وقريبة من المنازل التي أحاطت الضريح الشريف ، واذا أردنا الآن أن نقرر شكل المقبرة القديم ، كان بامكاننا أن نقول ، بأنها كانت على شكل خط من قبور يبدأ من أقصى شمالي غربي النجف حتى شرقها ، ومن ثم نبدأ لنتساءل من أية جهة بدأ الدفن هل كانت البداية من شمال غرب المدينة ام من شمالها ام من جهة اخرى ؟!

ان الدفن في الواقع لم يكن البدء فيه من جهة معينة واحدة ليستمر ويشكل شكل المقبرة ، بل بدأ الدفن من جهات متفرقة وقريبة تماماً من محيط المدينة القريب الى الشكل الدائري ، فتكونت قبور متفرقة ومتقاربة اتصلت مع بعضها وكونت خطاً مقوساً يوازي هذا المحيط .

كما لا يغرب عن بالنا ، بأن الدفن آنذاك كان مستمراً في جهات ما بين المنازل وداخلها ، وكذلك في الصحن الشريف ، وأكثر عمليات الدفن كانت تجري عادة الى الغرب من مدينة النجف الخالدة ، والذي دعا الى هذا امور كثيرة وكثيرة ، منها ان النجف كانت قديماً معرضة لهجمات الاعراب ، ولم تكن مطمئنة فسورت صداً للمخطر ، ولم تكن آنذاك حكومات مركزية تشد أزرها . وعامل الخوف وعدم الاطمئنان جعل السكان في تلك الأيام ، الأحياء منهم والأموات ضمن سورها ، عدا الجهة الشمالية التي أخذ خط القبور بالظهور فيما وراء السور . وقد اتسع الخط بعد ان قل الخوف من الغزوات المفاجئة .

ويضاف الى ذلك عامل عقائدي آخر هو ان معظم السكان كانوا ولا يزالون يرغبون الدفن في أقرب نقطة الى الضريح الشريف وهذا العامل بنفس الوقت دليل يعزز لنا قولنا في ظهور المقبرة مباشرة بعد سورها ، وعلى شكل يوازي محيطها دون ابتعادها عن المحيط ، أو امتدادها منه نحو الشمال ، لتشكل عموداً بزاوية قائمة عليه ، ومن هنا نجد المقبرة بسبب عدم ابتعادها عن المدينة الآخذة بالتوسع أصبحت عقبة في توسعها من جهة الشمال والشمال الغربي وبالاضافة الى تلك العوامل يمكن أن يعد نقص المورد المائي عاملاً مباشراً آخر . فالنجف كانت تعاني نقص الماء بحكم

موقعها بعيداً عن مصادره ، ويذكر انه قد حفرت كهاريز من الفرات في الكوفة الى النجف ، وأخذ السكان يحفرون الآبار لتتصل بالكهاريز وليتاح لهم الحصول على الماء بواسطة « الحبل والدلو » وبهذه الطريقة يملأون الأحواض العميقة المعدّة لخزن الماء ، فيسدون بذلك حاجتهم من هذا المورد من بعد جهد جهيد ، ولهذا فإن ابتعاد المقبرة عن المدينة يعني ابتعادها عن المورد المائي « الكهاريز » ومعنى ذلك أيضاً زيادة التكاليف المحتاجة الى التغسيل وبناء القبور .

ونلاحظ ان المدينة حين بدأت تهدم سورها لزوال الحاجة اليه ، أخذت بالاتساع ، وشيدت لها « مغسلاً » قرب بحيرة النجف ، وقرب نهاية الكهريز ، وهذا المغتسل ، واسمه الدارج « المغيسل » أصبح اليوم مهجوراً تماماً لتوفر الماء في كل جانب من النجف بسبب اسالة الماء وضخه من الكوفة اليها .

وعامل عقائدي آخر ذكره لي أحد الاخوان ، فحواه ، ان الناس اختاروا هذه الجهة من النجف « أي الشمالية » لتكون مدفناً ، لأنها تقع بين الحرمين ، بين مرقد الامام علي عليه السلام في النجف وبين مرقدي الحسين والعباس عليهما السلام في كربلاء ، وان هذه الجهة تمتاز عن الجهات الاخرى ، بأن صخورها

رملية صلبة تسمح لحفر اللحود فيها ، وهذا العامل مهم" جداً ، يضاف اليه استواءها وتعقدها ، عكس الجهة الغربية والجنوبية من النجف .

وعامل استواء الأرض وسهولة المواصلات شجعت السكان البعيدين عن النجف الاسراع في دفن موتاهم الى جوار أمير المؤمنين علي عليه السلام ، فأخذت المقبرة بالاتساع ، ويعني هذا انها بدأت تغير من شكلها القديم « الخط المنحني المتقطع » الى شكل هلالي وقد سورت هذه المقبرة ، ولكن هدمت بعض جوانب سورها ، وما ذلك إلا نتيجة حتمية لاتساعها المستمر .

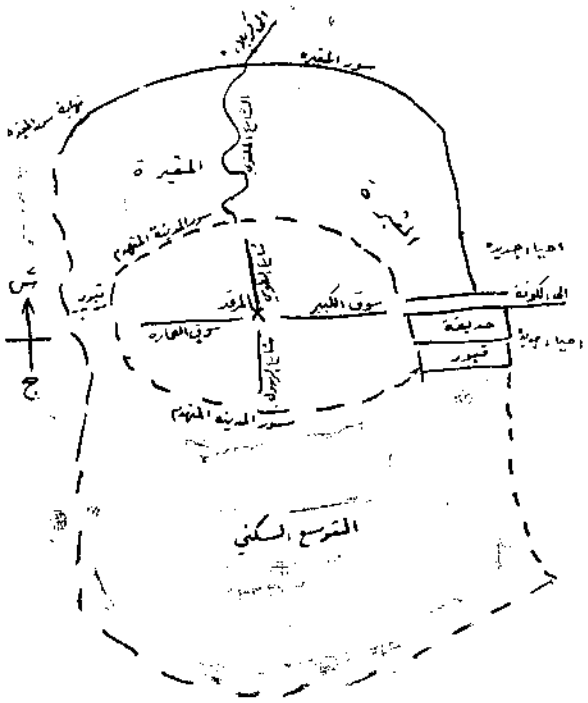


شكل تخطيطي

يبين موقع المقبرة وشكلها

# التطور الملموس فى أشكال القبور

ان القبور في تصاميمها تباينت على مر الزمان ، منها القديم الذي بقي يحافظ على هيئته وتصميمه ، بينما اتخذت اخرى تصاميم هندسية حديثة ، فالشكل المألوف يمكن تشبيهه بأسد رابض على الأرض « جذع ورأس » وهذا الشكل في الواقع يدلنا على كيفية وضع الانسان اثناء دفنه ، واتجاه رأسه ، وعند رأس القبر البارز وضعت قطعة من الصخر أو المرمر ، نقش عليها اسم المتوفى وتأريخ وفاته عادة ، والقبور في شكلها ووضعها تأخذ اتجاهاً واحداً نحو الغرب ، ووضعها هذا يشير الى أن رؤوس الأموات بهذا الاتجاه ووجوههم شطر القبلة « الى الجنوب » باتجاه بيت الله الحرام .

وقد تطور الطراز القديم ، بأن أصبح أكثر ارتفاعاً ، وعلى شكل مدرج ، وبهذا تكون تكاليف تشييد التصميم القديم على الصفة هذه ، قد زادت ، وأصبحت حوالي عشرة دنانير ، بدلاً من ثلاثة أو أربعة .

وثمة شكل قديم آخر ، يأتي بالدرجة الثانية من حيث السيادة على الأشكال ، أو التصاميم الاخرى ، وهو الذي يقرب لأن يكون متوازي المستطيلات .

أما القبور القبيبة فتأخذ نماذج يغلب عليها الطراز

القديم في البناء « أقواس وزخرفة » ، وبمرور الزمن دخلت تصاميم حديثة منها مربعة الشكل ، وأخرى على شكل بيت صغير ، وقد اشترك فى البناء الحديد والاسمنت مع الجص والطابوق ، وكل هذه النماذج متفرقة هنا وهناك وهي قليلة العدد بالنسبة للشكل الأول السائد المألوف المرغوب والأقل تكاليف .

وأخيراً أخذت القبور تبلغ درجة من التطور الملموس بعضها لم يعد قبوراً بل قصوراً زخرفت واجهاتها وكتب على جدرانها بعض من الآيات القرآنية البينات ، منها شيدت على شكل قبة والى جوارها منارة واحدة في بعض المقابر ، أو منارتان في أخرى ، وسنوضح ذلك أكثر في باب مقبل من الموضوع .

## ماذا قيل في أمر جواز البناء على القبور وعدمه ؟

ولنبدأ الحديث في هذا الباب عن شأن وطأ القبر والاتكاء عليه ، فقد ضربت الروايات المنقولة بعضها البعض الآخر ، فمثلاً قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام اذا دخلت المقابر فطأ القبور فمن كان مؤمناً استروح الى ذلك ومن كان منافقاً وجد ألمه .

وعن النهاية للعلامة الحلي عن النبي (ص) قال : لأن أطأ على جمرة أو سيف أحب الي من أن أطأ على قبر مسلم .

وعن العلل لمحمد بن علي بن ابراهيم عن النبي (ص) قال : من وطأ قبراً فكأنما وطىء جمراً .

وأوردت الأخبار انه يكره الاتكاء أو المشي على القبور .

أما فيما يخص البناء والتطيين والتجصيص فعن كتاب النهاية للعلامة الحلي عن النبي (ص) جاء خبر ليس فيه أدنى ترغيب في التطيين والتجصيص فقد ذكر : انه نهى أن يجصص القبر أو يبنى عليه لأنه من زينة الدنيا فلا حاجة بالميت اليه [1] .

وروي عن الرسول (ص) بأنه نهى ان يجصص القبر أو يصلى فيها . وذكر البعض في الأخبار انه يكره تجصيصها ، أو التظليل

---

(١) سفينة البحار . ص ٣٩٦ « باب حكم تجصيص القبور والمشي عليها » .

عليها والمقام عندها وتجديدها بعد اندراسها ولا بأس بتطيينها ابتداءً [١] .

وجاء في كتاب وسائل الشيعة ص ٨٦٩ ، باب خاص في كراهية البناء على القبور غير قبور النبي (ص) والأئمة عليهم السلام والجلوس عليها ، وتجصيصها وتطيينها .

فهذا الخبر مثلاً بعد أن اسند الى قائله ، عن علي بن جعفر قال : سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن البناء على القبر ، والجلوس عليه ، هل يصلح ؟ قال : لا يصلح البناء عليه ولا الجلوس ولا تجصيصه ولا تطيينه .

وعن أبي عبدالله (ع) ، قال : نهى رسول الله أن يصلى على قبر أو يقعد عليه أو يبنى عليه [٢] .

غير ان هناك خبراً عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان قبر رسول الله محصب حصباء حمراء ، ولربما بجواز ذلك يجوز تجصيص المقابر كما يجوز نحت الاسماء عليها ، وهذا دليل على نفي التحريم فلا ينافي الكراهة ، ويستحب عمارة واعادة بناء قبور الأئمة والأنبياء عليهم السلام .

وذكر الرواة ، ولربما صح ما رووا ، وما نقلوا بأن النبي (ص)

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٣٩٦ — ٣٩٧ .

(٢) وسائل الشيعة جـ ٢ .

المرحوم
علي الاحمد



قال : لاتتخذوا قبري قبلة ولا مسجدا فان الله لعن اليهود حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .

وجاء ، وقد يصح ما جاء ، انه سأل أبا عبدالله عليه السلام عن زيارة القبور وبناء المساجد فيها فقال : اما زيارة القبور فلا بأس بها ، ولا يبنى عندها مسجد .

والظاهر أن هذه الأخبار التي تروى بهذا الشأن لا تؤيدها الأسانيد القوية حتى يسار على ضوئها ، وإلا ، لمنع أئمة المسلمين اليوم من البناء على القبور ، وتجصيصها وكتابة الأسماء ، ووضع الصور عليها ، ونحن اليوم نلمس أهمية البناء في تشخيص القبور بعضها عن البعض الآخر .

أما بالنسبة لقبور الائمة ، فالمخلصون اليوم يهتمون اهتماما متزايدا في تعلية قبورهم ، وتخصيص مواسم معينة لزيارتها .

وذكر كتاب معجم القبور [1] أن عمارة قبور الأنبياء الكرام والأئمة عليهم السلام ، وتشييدها وجعل الضرائح عليها من أعظم الشعائر الإلهية لأن في ذلك ابقاء لآثارهم ، وسبباً لمحو الزائرين وكسر شوكة المشركين .

---

(١) معجم القبور ص ١١ جـ ١ .

## تربة المقبرة وهواؤها ومزية الدفن فيها

تربة المقبرة تربة رملية نقية ناعمة ، هذا ما يخص القسم الأعلى منها ، أما القسم الذي يلي ذلك بحوالي عشرين سنتيمتراً عبارة عن منطقة صخرية متكونة من صخور رملية قوية تسمح لحفر اللحود فيها بصورة عمودية ، وتسمح لادخال الانسان وتوديعه في مكان قد حفر بصورة أفقية وبطول المتوفى عند نهاية الحفر العمودي ، وقد تبقى الصخور والتربة محافظة على تماسكها، ولكن بعد مدة ينهدم ما يحيط بالتجويف الأفقي الراقد فيه المتوفى فتضيع معالم التجويف .

وتتصف المقبرة بالجفاف التام لأنها جزء من الهضبة الصحراوية الجافة ، فهي لهذا بقعة ذات رمال نقية وصخور رملية جافة لا تظهر فيها أية رائحة مما نسميها بالعفونة ، أو ما يدل عليها ، يقول ابن جبير في رحلته « وأصبحنا في النجف وهو بظهر الكوفة كأنه حد" بينها وبين الصحراء ، وهو صلب من الأرض منفسح متسع للعين فيه مراد استحسان وانشراح [1] » .

والحقيقة ان الكثير من أهالي النجف يتركون المدينة وأزقتها الضيقة ، وشوارعها المزدحمة الصاخبة بضجيج الناس والسيارات، ليتجولوا خلال شارع المقبرة الملتوي ، أو بين القبور ، غايتهم شم

(١) رحلة ابن جبير ص ١٨٧ .

الهواء الطلق العذب الزكي من فضائها الرحب .

وجاء في تحفة العالم ، انه قال السيد جعفر بحر العلوم ان أهالي النجف لم يجدوا الوحشة ، والانقباض أبداً ، بل ان وادي السلام من أحسن المنتزهات لسكان البلدة المقدسة الكريمة .

وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي يمدح الواثق ويذكر النجف [1] .

ما ان أرى الناس في سهل ولا جبل
أصفى هواء ولا أغذى من النجف
كأن تربتـه مسك يفوح به
أو عنبر دافـهُ العطار في صدف
وما يزال نسيم من ايامنـه
يأتيك منـه بريّا روضه الانف
تلقاك منـه قبيل الصبح رائحـة
تشفي السقيم اذا اشفى على التلف
لو حلّه مدنف يرجو الشفاء به
اذاً شفاه من الاسقام والدنـف

وقد قيل ان من خصائص تربة المقبرة اسقاط عذاب القبر

---

(١) كتاب جغرافية العراق وتأريخه القديم — لعبدالرزاق سعيد البغدادي النجفي ص ١٢٠ ، المطبعة العلمية ١٩٣٩ .

وترك محاسبة منكر ونكير للمدفون فيها ، كما ورد فى الأخبار عن أهل البيت عليهم السلام [١] .

وضمن السماوي هذا الخبر والمعنى في ارجوزة منها [٢] :

ثرى بـــه امن عـــذاب البرزخ

من حيث جيىء فرسخا في فرسخ

فإن من يدفن خلف الخنـــدق

عنـــد علي لم يخف ممـــا لقي

جاءت بمـــا ذكرته اخبـــار

وعاضـــدتها في الورى آثار

وقال في فضل التربة الزكية [٣] الطاهرة أيضاً :

ثرى ترى النقل اليـــه يكثر

فالميت فـــوق الميت يقبـــر

يمحوا من البـــادي الاخير الاثرا

تنافساً منهم على ذاك الثرى

وفي باب ذكر خصائص المدفن في النجف ، وحشر الأرواح فيه قال العلامة المجلسي ، طيب الله ثراه ، في مزار البحار : ومن

---

(١) ارشاد القلوب ص ٤٣٥ جـ ٢ .

(٢و٣) عنوان الشرف ص ١٤ — ١٥ .

خصائص الحرم الشريف ان جميع المؤمنين يحشرون فيه [١] .

وعن أحمد بن عمر رفعه عن أبي عبدالله عليه السلام قال قلت له ان أخي ببغداد وأخاف أن يموت بها فقال ما تبالي حيثما مات اما انه لا يبقى مؤمن في شرق الأرض وغربها إلا حشر الله روحه الى وادي السلام ، قال له وأين وادي السلام ، قال : ظهر الكوفة، اما اني كأني بهم حلق ، قعود يتحدثون [٢] .

وفي الروايات ان الاموات يتزاورون ، ويعقدون حلقات يتحدثون فيها فيما بينهم ، وأي حديث يكون بين أرواح تخلصت من أجسادها العاجة بغرائزها ومتطلباتها ، وان ومجالسهم وأحاديثهم ليست كمجالسنا وأحاديثنا ، والرأي ليس كما قال أحد الأدباء عندما أطل على وادي السلام وهو مغتبطاً جذلاً بحلقات الدرس ومجالس الأدباء في النجف :

سلام على أهل القبور الدوارس
كأنهم لم يجلسوا في « المجالس » [٣]

وقد وردت أخبار كثيرة ، في انه بين النجف والكوفة ، يكون

---

(١) راجع ارشاد القلوب ص ٤٢٦ جـ ٢ ، وراجع سفينة البحار ص ٧٩ — ٨٠ أيضاً .

(٢) تحفة العالم .

(٣) هكذا عرفتهم — جعفر الخليلي ص ٣١٦ .

الأموات قعود يتحدثون على منابر من نور .

وعن عباية الأسدي ، عن حبة العرني ، قال : خرجت مع أمير المؤمنين علي عليه السلام الى الظهر ، فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب الأقوام ، فقمت بقيامه حتى أعييت ثم جلست حتى مللت ثم قمت وجمعت ردائي فقلت يا أمير المؤمنين اني قد اشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة . ثم طرحت الرداء ليجلس عليه فقال : يا حبة ان هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسة ، قال ، قلت : يا أمير المؤمنين وانهم لكذلك ، قال : نعم ، ولو كشفت لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون ، فقلت : اجسام أم أرواح ، فقال : أرواح ، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الأرض إلا وقيل لروحه الحقي بوادي السلام ، وانها لبقعة من جنة عدن » (١) .

ويعرف من هنا ان وادي السلام كان بقعة عظيمة مشرفةقبل دفن الامام علي عليه السلام فيها ، لأنها كانت تضم جميع الأرواح المؤمنة التي جاءت لتحشر فيها من جهات الارض القريبة والبعيدة فأنه عندما سأل حبة العرني الامام (ع) عن المؤمنين الذين تحدث عنهم ، هل هم ارواح أم اجساد ؟ كانجواب الامام ( ع ) ، انهم أرواح .

وعليه فما من مؤمن في شرق الأرض وغربها ، إلا وقد خوطبت

---

(١) مزار البحار ص ٨٠ .

روحه للالتحاق بوادي السلام ، والانحشار مع الأرواح المؤمنة الخيرة ، وما على الأرواح إلا أن تلبي النداء ، نداء الخالق الجليل.

وقال بن طاووس في كتابه بشارة الزائرين في صدد فضل النجف وتربتها : «فاعلم ان فضله لاينكر وشرفه ذاتي، والعرض من طريق المعقول ظاهر جلي لذوي البصائر والعقول من حيث اتخاذه مرقدا لسيد الوصيين صلوات الله عليه واختياره مدفنا لبدنه المقدس ، واختيار نوح، وغيره من الأنبياء، والأوصياء عليهم السلام الدفن فيه ، الكاشف ذلك عن شرفه الذاتي ، وإلا كان اختيار الدفن فيه ونقل عظام آدم عليه السلام من سرنديب، أقصى الهند ، بلا مخصص » .

اما العلامة الطباطبائي قال في هذا الصدد ، في الدرّة [١] :

أكثر من الصلاة في المشاهد ... خير البقاع أفضل المعابد

لفضلها اختيرت بمن بهن حل ... ثم بمن قد حلها سما المحل

وروي عن شرف النجف وفضل ترتبها ، عن أبي اسامة عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال سمعته يقول : الكوفة روضة من رياض الجنة فيها قبر نوح وقبر ابراهيم وقبور ثلثمائة وسبعين نبياً وستمائة وصياً وقبر سيد الوصيين (ع) [٢] .

---

(١) بشارة الزائرين ص ٥٨ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ٥٨ .

وقصد بالكوفة ، الكوفة نفسها وظهرها .

وقال الشاعر يمجد النجف وتربتها :

ما أم قبر المرتضى راجيا ... يأمل كشف الضر الا نجا

فطف بـــه ملتثما تربـــه ... ولذ بـــه ما ليل همٍّ دجا

تجد بـــه حرزاً منيعا وفي ... أكنافه يرتع طرف الرجا

ومن بشارة الزائرين نقلاً عن البحار في باب فضل النجف وماء الفرات ، عن أبي الحسن الحذّاء ، قال : قال أبو عبدالله (ع): ان الى جانبكم مقبرة يقال لها برثا [1] يحشر فيها عشرون ومائة الف شهيد كشهداء بدر .

وعن أبي الجارود ، رفعه الى علي صلوات الله عليه ، ان ابراهيم عليه السلام مرّ ببانقيا ، فكان يزلزل بها ، فبات بها ، فأصبح القوم ولم يزلزل بهم ، فقالوا ما هذا وليس حدثاً ، قالوا نزل هاهنا شيخ ومعه غلام ، قال : فأتوه ، فقالوا له : يا هذا انه كان يزلزل بنا كل ليلة ، ولم يزلزل بنا هذه الليلة ، فبت عندنا ولم يزلزل بهم ، فقالوا أقم عندنا ونحن نجري عليك ما أحببت ، قال : ولكن تبيعوني هذا الظهر ولا يزلزل بكم . قالوا : فهو لك قال لا اخذه إلا بالشراء ، قالوا فخذه بما شئت فأشتراه بسبع

---

(١) البرث : الأرض السهلة والجبل من الرمل ، أو أسهل الأرض وأحسنها والجمع : براث .

نعجات وأربع أحمرة ، ولذلك سمي بالنقيا ، لأن النعاج بالنبطية نقيا ، قال : فقال له غلام : يا خليل الرحمن ما تصنع بهذا الظهر ، ليس فيه زرع ولاضرع ، فقال له : اسكت ، فإن الله عز وجل يحشر من هذا الظهر سبعين الف يدخلون الجنة بغير حساب يشفع الرجل منهم كذا وكذا ... (١) .

وقد ذكر في كتاب معجم البلدان فحوى الرواية السابقة وأكد ، على ان تربة النجف لفضلها وعظيم شأنها اشتراها ابراهيم الخليل (ع) (٢) .

وبالاسناد الى الأصبغ بن نباتة رحمه الله قال خرج امير المؤمنين عليه السلام الى الكوفة فلحقناه ، قال سلوني قبل أن تفقدوني ، فقد ملئت الجوانح مني علماً ، كنت اذا سئلت اعطيت واذا سكت ابتدأت ثم مسح بيده على بطنه وقال : أعلاه علم وأسفله ثقل ، ثم مرَّ حتى أتى الغريين فلحقناه وهو مستلقي على الأرض بجسده وليس تحته ثوب ، فقال له قنبر يا امير المؤمنين ، ألا أبسط تحتك ثوبي ؟ قال : هل هي إلا تربة مؤمن ومزاحمته

(١) ان الناس في السابق اذا أرادوا ان يعبروا عن الكثيرة ذكروا السبعين ويزيدون بها أكثر من ذلك بكثير .

(٢) راجع كتاب مشهد الامام أو مدينة النجف لمحمد علي جعفر التميمي جـ ١ ص ٩٠ .

في مجلسه ، فقال الأصبغ : تربة المؤمن قد عرفناها ، فما مزاحمته في مجلسه ؟ فقال : يا ابن نباتة لو كشفت لكم لألفيتم أرواح المؤمنين في هذه حلقاً حلقاً ، يتزاورون ويتحدثون ، ان في هذا الظهر روح كل مؤمن » .

وكذلك [1] جاء ما رواه أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسن ابن عبدالرحمن العلوي الحسيني في كتاب فضل الكوفة باسناد رفعه الى عقبة بن علقمة أبي الجنوب ، قال : اشترى امير المؤمنين علي عليه السلام ما بين الخورنق الى الحيرة الى الكوفة من الدهاقين بأربعين الف درهم ، واشهد على شرائه ، قال : فقيل له يا امير المؤمنين اتشتري هذا بهذا المال ،وليس ينبت حطبا ، قال : سمعت من رسول الله (ص) يقول : كوفان يرد أولها على آخرها يحشر من ظهرها سبعون الفاً ويدخلون الجنة بغير حساب ، واشتهيت أن يحشروا في ملكي » .

وروي في كتاب مشهد الامام [2] ، ما كتبه الفاضل ملا مهدي المعروف بالنراقي الى العلامة آل بحر العلوم ( ره ) :

ألا قل لسكان أرض الغري هنيئاً لكم في الجنان الخلود

---

(١) فرحة الغري ص ٢٠ لابن طاووس .

(٢) راجع مشهد الامام أو مدينة النجف ــ محمد جعفر التميمي .

أفيضوا علينا من الماء فيضاً فنحن عطاشاً وأنتم ورود

فأجابه العلامة (ره) :

ألا قل لمولى يرى من بعيد ديار الحبيب بعين الشهود

لك الفضل من غائب شاهد على حاضر غائب بالصدود

فنحن على الماء نشكو الظما وفزتم على بعدكم بالورود

فأنك وإن كنت غائباً عن أرض الغري ولكنك بحكم الحاضر لأنك تحب المجاورة .

وقد وردت روايات وأخبار اخرى كثيرة متناقلة تنص على فضل هذه الأرض وشرفها ، فقد روي عن القاضي ابن زيد الهمداني الكوفي وكان رجلاً صالحاً متعبداً ، قال كنت في جامع الكوفة ذات ليلة ممطرة ، فدق باب مسلم جماعة ، ففتح لهم الباب وذكر بعضهم ان معهم جنازة ، فأدخلوها ، وجعلوها على المصفة التي اتجاه باب مسلم بن عقيل (ع) ، ثم ان أحدهم نعس فنام فرأى في منامه قائلاً يقول لآخر ما تبصره حتى نبصر هل لنا معه حساب أم لا ، فكشف عن وجه الميت وقال لصاحبه بل لنا معه حساب وينبغي أن تأخذه منه معجلاً قبل أن يتعدى الرصافة ، فما يبقى لنا معه طريق ، فأنتبه وحكى لهم المنام قال : فأخذوه ، ومضوا به في الحال الى المشهد الشريف [1] .

---

(١) ارشاد القلوب ص ٢٣٠ .

ان الاشخاص المتجهين بهـذه الجنازة لدفنهـا ، في اية جهة كانت لم يكونوا حسبما تنص الرواية ، متجهين الى ظهر الكوفة وهي ان صحت ، فذكرها يراد به ما لهذه البقعة الطاهرة من فضل، وحرمة .

وأخص بالذكر في هذا المجال ، ان القائمين في خدمة الضريح الشريف كثيرا ما شاهدوا في منامهم أحلاما يتعلق بعضها بخصوص الأموات ، والضريح الشريف ومنها مثلاً ان أحد الصلحاء ، من خدمة المشهد الطاهر ، رأى كل واحـد من القبور الموجودة في المشهد الشريف وظاهره قد خرج منه حبل ممتد متصل بالقبـة الشريفة ، ويستظهر من حلم هذا الشخص ، ان الذين دفنوا في حمى الامام ولاذو به قد حازوا على رعايته ، وتكفله ، وحمايته عليه أفضل السلام .

وقد وصف السماوي تربة المقبرة بقصيدة ضمنها فضل النجف وشرفه :

| | |
|---|---|
| يا تربـة يكثر فيهـا الدرر | أأنت أم سما بنجم تزهـر |
| ويا مقـام قبـره المهـد | أأنت أم روضـة قبر أحمد |
| ويا ضريحـه بتلك التـربة | أأنت أم في البيت تزهو الكعبة |
| لقد زكت تربة قبر حيـدر | اذ قـد حوت للطيب المطهر |
| وقـد ذكت ولا تزال تذكو | لو لم تكن بيضاء قلت مسك |

مرَّ بها النسيم خلواً فامتزج بروحها ففـاح طيباً وأرج
وهب أذكى من نسيم الورد طيباً واقرى في الشذى من ند
وسقط الغبار فيهـا فسعد وصار كحلاً للنواظر الرمد
فكم شفى ذلك من سـقام اشفى موافيـه على الحمام
وكم تمسكت به من تعتصم فأستمسكت بعروة لاتنفصم
وكـم تبركت بـه المنتهكة فحصلت على النما والبركة
وكم وكم ولا اعد كم وكم من يحسب القطر اذا الغيث ركم
ذلك كالروح توافي للبـدن
وكيف لا وهو ثرى ابي الحسن (١)

وقال أيضاً :

وفي القليل من كثير النقـل بين اولى الفضل وأهل العقل
ما يطمئن خاطـر الولي وكيف لا وهو ثـرى علي

وقال الشيخ علي الشرقي من قصيدة عنوانهـا : وادي النجف (٢) :

اللطف غبش سفحه الوا دي المنـور بالشقايق
والرمـل مواج السبائك بالشذى القدسي عابق

وذكر كتاب ماضي النجف جـ ١ في ص ٢٤ ــ ٢٥ ، قصيدة

(١) ص ١٣ ــ ١٤ من عنوان الشرف .
(٢) في مجلة الاعتدال .

للشاعر الأديب محمد السماوي النجفي وقد مدح فيها تربة النجف وأهلها :

ألمّ على ذكوات النجف ... ولاحظ بطرفك تلك الطرف
هواء نقياً تحف النفوس ... يطيب هديا اله أو تحف
وتراباً زكياً يود الفؤاد ... يلاصقه من وراء الشغف
وعرفاً ذكياً يغير الكبا ... اذا الأنف ناشقه وائتنف

ومنها :

وعج بالحمى لترى رمله ... النقي وما رق فيه ورف
ترى الدر منتثراً بالرمال ... ينظمه الريح صفاً فصف
اذا باكرته السما بالحيا ... حسبت مدار النجم انقصف
ترى مشرق النهر من حوله ... على جانب الغرب منه انعطف
كما طرح السيف في روضه ... فأومض افرنده واستشف
ترى الطير بين الورى آمناً ... يغرد للمرء فيما استخف
اذا ما تأملت تغريده ... ظننت هناك عروساً تزف
فأين يتاه بدن لم يعج ... بتلك الجنان وتلك الغرف
أيختار ربعاً سوى ربعها ... قيقلى اللئالي ويجبي الصدف

وقيل أيضاً في تربة النجف :

أتربة قدس ام شذى عنبر
تضوع أم وادي الحمى فاح في الغري

نشدتك في زاكي ثـراه المعطّر

اذا مت فأدفني مجـاور حيدر

أبي شبر اكرم به وشبير

ملاذ دخيل فاز من في ذماره

تحصن من هول المعـاد وناره

فأنزل به مولى ولاه ووازره

فلست أخاف النار عند جواره

ولا اتقي من منكر ونكير

وجاء في كشف الظنون ص ٣٤٤ جـ ٢ انه كانت تربة النجف يضرب بها المثل في طيبها ونقائها كما قال فيها بعض الشعراء :

حكمة أورثنـاها جـابر عن امام صادق القول وفي (١)

لوصي طـاب في تربتـه فهو كالمسك تراب النجف

فلا ازيد أكثر مما بينت هذه الروايات التأريخية المسندة عن فضل هذه الأرض ومزية الدفن فيها ، وما لها من الجلال والقدسية من رونق يضفي على النفوس الحية أيما اجلال لها واعتزاز بها ، كبيت للجميع ، ودار للبقاء بعد ترك دار الخراب والغرور والفناء .

(١) المراد بجابر هو جابر بن حيان الكوفي المعروف بالصوفي الفيلسوف توفي سنة ١٦١ والامام الصادق ، هو استاذه الامام جعفر بن محمد ، أما الوصي : فهو علي عليه السلام .

## المراقد والمقامات المشرفة التي تضمها المقبرة

في جوانب عدة من المقبرة تشاهد مقامات ومراقد مشرفة بارزة في بنائها الضخم وقبابها الرائعة ، ومكانتها من قلوب الزائرين الذين يأتون النجف في كل حين ، وما المقام الا مكان وقف فيه أو قعد طلباً لراحة ، أو ركع فيه أو سجد ابتغاء لمغفرة ، نبي أو امام ، فقامت لمقامه الذي لم يستمر إلا فترة وجيزة ، بناية ، تبقى مرّ الزمان تدار وتزار ، وها أنا اوجز شيئاً عن بعضها :

### أ ــ مقام المهدي عليه السلام

هناك في مكان رحب ليس بالقصي عن المدينة مقام القائم المنتظر عليه السلام يأخذ مجالاً وسطاً من المقبرة حتى أنه كان ولا يزال داراً لطلاب استراحة ومسجداً لمن داهمه وقت فريضة لله واجبة ، ومنتدى لقصاد وادي السلام ، وفيه تعقد النسوة حلقات الحزن ليجلن لاطمات موتاهن في فنائه الواسع .

وما بينه وبين الشارع الملتوي المارق خلال الوادي أو المنصف له تقريبا ،مجال قصير من القبور ،بينها طريق فرعي ملتوي ضيق موصل بين المقام والشارع العام .

والمقام تعلوه قبة زرقاء في جانبه الشرقي ، ومقام القائم بالحق يدار ويزار ، وهو بعناية عائلة تفرغت لخدمته ، وقد خصص كنف من أكنافه لخزن ماء يرتوي به كل من ساغ له أن يشرب

فزائروا الوادي ، والعاملون فيه كثيراً ما يدفعهم العطش صوب المقام للارتواء من مائه العذب وأحياناً النوم والتفيىء في ظلال بنائه الوارف .

وفي الأعياد ولياليي الجمع يكون المقام العامر والمسالك المؤدية اليه زاخراة بالناس الذين اعتادوا في مثل هذه الايام زيارة القبور للترحم على أرواح المؤمنين ، ولطلب المغفرة لهم ، وحين تجنح الشمس الى المغيب ينهي الناس ما أرادوا من زيارة وسلام ليعودوا جميعاً زرافات ووحداناً الى المدينة .

## ب ـ مرقدا هود وصالح

وعن يمينك في بدء ذهابك نحو مقام المهدي عليه السلام ان حانت منك التفاتة ، لشاهدت بناية عامرة بارزة تخرج من وسطها غصون شجيرات نظرة .

والأخبار تذكر وتكرر لتؤكد ان الرسولين هوداً وصالحاً (ع) قد دفنا في هذا الحيز من الارض وان هذه البناية القائمة المذكرة بالرسولين المصلحين اللذين بعثهما الله جل شأنه لصلاح سكان الأرض وارشادهم ، تضم رفاتهم الطاهر .

ومن الناس من لاذ بمرقديهما ومنهم من تفرغ لادارة كل ما يتعلق بخدمتهما من كنس فناء وتنظيف جدران وتصليح وترميم . وكثيراً ما شاهدت بعض الزائرين يؤدون صلاة الظهر في فنائه الظليل .

واذا أردنا أن نتصفح الأخبار الواردة في اثبات موضع قبريهما عليهما السلام ، لوجدنا في كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي ، اخباراً تناقلتهـا الرواة عن بعضهم البعض ، عن ابن نبـاتة ، قال : خرجنا مع أمير المؤمنين عليه السلام الى نخيلة فاذا أناس من اليهود معهم ميت لهم ، فقال أمير المؤمنين (ع) للحسن : هو هود عليه السلام ، فقال : كذبوا ، أنا أعلم به منهم ، هذا قبر هودا بن يعقوب ، ثم قال : من هاهنا من مهرة ؟ ، فقال شيخ كبير : أنا منهم ، فقال له : أين منزلك ؟ فقال : في مهرة على شاطيء البحر ، فقال : أين هو من الجبل الذي عليه الصومعة ، فقال : قريب منه ، فقال : ما يقول قومـك فيه ؟ فقال : يقولون : قبر ساحر ، فقال : كذبوا ، أنا أعلم به منهم ذلك هو قبر هود ، وهذا قبر هودا » .

وكتاب بحار الأنوار يفصح عن مدى الاختلاف فيما ورد من أخبار مع ما ورد في مزار البحار من أخبار اخرى في بيان الموضع نفسه . والأخبار الواردة الكثيرة بعضها يذكر عن امير المؤمنين علي عليه السلام، وان قبر هود على تل من الرمل الاحمر بحضرموت وقيل انه دفن في مكة ، في الحجر ، والأخبار الواردة في مزار البحار تدل على انه دفن قريباً من أمير المؤمنين علي (ع) في الغري ، ويرى بأنه يمكن الجمع بحمل هذا الخبر على الموضع الذي دفن فيه

أولاً ، ثم نقل الى الغري كآدم (ع) .

وعن أبي مطر قال : لما ضرب ابن ملجم لعنه الله أمير المؤمنين عليه السلام ، قال الحسن : اقتله ؟! قال : لا ، ولكن احبسه فاذا مت ، فاقتلوه ، واذا مت فادفنوني في هذا الظهر في قبر : أخويَّ هود وصالح عليهما السلام [١] .

وفي ماضي النجف وحاضرها [٢] « وفى جبانة النجف على الجهة الشمالية من البلد الأشرف قبر للنبي هود (ع) وللنبي صالح (ع) وهو من القبور المعلومة والمقامات المشهورة عليه قبة يتبرك بها ، وتزار ، شيدت في عصر العلامة الخبير بحر العلوم (ره) وهو الذي أظهره وبنى عليه قبة من الجص والحجارة ولم تزل باقية حتى أتى رجل من أهالي ايران فهدم تلك البنية وبنى عليه قبة مغشاة بالحجر القاشاني » [٣] .

وفي كتاب عنوان الشرف قال السماوي في الفصل الثاني ص ٥ في زيارة الأنبياء (ع) في النجف الأشرف مشيراً الى قبور الأنبياء (ع) :

وجاء نوح بعد فيض العالم  الى الغـري بعظـام آدم

(١) بحار الأنوار جـ ١١ ص ٣٧٩ .

(٢) ماضي النجف وحاضرها ص ٦٦ .

(٣) راجع كتاب مشهد الامام أو مدينة النجف ص ٩٠ .

ثم هو اختـــار الغري مدفنا　　لعلمـــه بدفن حيـــدر هنا
واختـــار ذاك صالح وهود　　وليس ما تزعمه اليهـــود
فان هودا عندهم ذو الكفل　　فأوضح الحق وصي الرسل
عنـــد ذهـــابه الى صفين　　وأعلن القبـــرين بالتعيين

ففي زحمة الأخبار والروايات الواردة نلمس تناقضاً وتضارباً جلياً ، وقد يشرف المؤرخ على نتيجة يستنبطها من الروايات والأخبار التأريخية المتباينة في أمر واحد ليتخذه كأساس يقر به صحة الامور فيضع كل شيء في نصابه الراجح بمنطقه وامكان تعقله حسبما تقر تسلسله احداث ومجريات الأيام السالفة .

## جـ ـ مراقد ومقامات اخرى

وهناك مراقد ومقامات كثيرة تضمها المقبرة ، ففي الطرف الجنوبي الغربي من المقبرة مثلاً ، مقام للامام زين العابدين (ع) يزوره الناس في كثير من الأوقات ففي محلة العمارة من جهة غروب الشمس مقام يعرف الآن بمقام الامام زين العابدين عليه السلام ، ويروى بأن السجاد كانت اقامته في هذا المقام أثناء زيارته لمرقد جده الامام الأعظم علي عليه السلام .

وللامام السجاد (ع) مقام آخر ملاصق للصحن الشريف من الجانب الغربي وقد ضاعت آثاره بفتح الباب الغربي للصحن الطاهر [١] .

وهناك في الجهة الجنوبية الشرقية قرب سور المدينة مقام يقال عنه انه مقام بنت الحسن عليه السلام .

ومراقد اخرى لرجال أخيار دفنوا في المقبرة وبنيت لهم قبور عالية يزورها الناس للتبرك ، وكثيراً ما يحصل الناس على ما يرجوه بزيارتهم تلك المراقـد من خير وبركة وشفاء ، يأتي ذلك نتيجة اعتقادهم المتأصل الراسخ في ان ليست هناك أية خيبة في طلب يرجوه من أي رجل صالح راقد الى جوار ربه ، وبعض الناس يرد الجميل بطعام يوزعه عند مرقد أو مقام الذي اسداه . والحناء وطليها على أبواب المراقد والمقامات ، أو عليها ، أمر جارٍ تؤديه النساء ، قد اعتدن عليه .

---

(١) راجع كتاب ماضي النجف وحاضرها ص ٦٥ .

## ـ المشاهير الذين دفنوا في النجف

أنبيـــاء

صحـابة

ملوك ووزراء

علمـــاء

### أ ـ الانبيـاء : ـ

وقد تكلمنا عنهم في فصل سبق ، وهم آدم ونوح وهود وصالح عليهم السلام .

### ب ـ صحابة الرسول ـص ـ :

كانت الكوفة عاصمة الدولة الاسلامية في عهـد علي (ع) قال عنها الرسول (ص) « الكوفة جمجمة العرب وكنز الايمان » . قد سكنها نفر كبير من صحابة الرسول (ص) ، والنجف هي ظهر الكوفة وقد ضم هذا الظهر أجداث الصحابة الذين وافاهم الأجل في الكوفة .

وقد قال عبدالرحمن بن علي الجوزي الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ في تأريخه المعروف بالمنتظم ( ... مات في

الكوفة ثلثمائة صحابي ليس قبر أحدمنهم معروفاالا قبر أمير المؤمنين علي (ع) وهو هذا القبر الذي يزوره الناس الآن ) [١] .

١ — أبو موسى الأشعري :

من مذحج واسمه عبدالله بن قيس ، أول مشاهده خيبر نزل الكوفةوابتنى بها داراً وهو أحد الحكمين توفى بالكوفةسنة ٤٢هـ .

٢ — أبو كاهل الأحمسي :

من بجيلة واسمه قيس بن عائذ وقيل عبدالله بن مالك روي عن النبي (ص) توفى أيام المختار .

٣ — أبو جحيفة السوائي :

واسمه وهب بن عبدالله من بني سواءة بن عامر بن صعصعة توفى بالكوفة في ولاية بشر بن مروان سنة ٧٤ .

٤ — الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي :

شهد مع علي عليه السلام صفين وله‌معه أخبار ،ابتنى بالكوفة داراً في كندة ومات بها في زمن الحسن بن علي عليهما السلام وصلى هو عليه ، وكانت ابنة الأشعث تحته ، وقيل مات سنة ٤٢ هـ وله ثلاث وستون سنة .

٥ — جرير بن عبدالله البجلي أبو عدو :

(١) هذا الفصل عن الصحابة راجعه في تاريخ الكوفة للبراقي ص ٣٨٤ .

ابتنى بالكوفة في بجيلة وتوفي بالسراة أيام ولاية النعمان بن قيس على الكوفة سنة ٥١ هـ وقيل سنة ٥٤ هـ .

٦ — جابر بن سمرة السوائي :

أبو عبدالله حليف بني زهرة بن كلاب ابتنى بالكوفة داراً في بني سواءة وتوفى بها في أول خلافة عبدالملك بن مروان ، قال ابن حجر توفى أيام ولاية بشر على العراق سنة ٧٤ .

٧ — خباب بن الأرت :

مولى لأم أنمار ابنة سباع بن عبدالعزي أبو عبدالله ، شهد بدراً وابتنى بالكوفة داراً في جهار سوج خفيس وتوفى بها أثناء ما كان الامام علي عليه السلام منصرفاً من صفين سنة ٣٧ هـ فصلى عليه ودفنه بظهر الكوفة .

٨ — خالد بن عرفطة :

كان سعد بن أبي وقاص ولاه القتال يوم القادسية ابتنى بالكوفة داراً وتوفى سنة ٦٠ هـ وقيل ٦١ هـ .

٩ — زيد بن أرقم الأنصاري أبو أنيس :

أول مشاهده مع النبي (ص) المريسيع ابتنى بالكوفة داراً في كندة وتوفى بها أيام المختار سنة ٦٨ هـ .

١٠ — خريم بن الأخرم بن شداد بن عمرو :

كان ابنه أيمن بن خريم شاعراً فارساً شريفاً مات في عهد

معاوية .

١١ — سهل بن حنيف :

أبو عدي شهد بدراً ولاه علي عليه السلام المدينة المنورة توفى سنة ٣٨ بالكوفة وصلى عليه الامام علي(ع) وكبّر عليه ستاً .

١٢ — سعيد بن حريث بن عدو بن عثمان :

شهد فتح مكة مع النبي ( ص ) وهو ابن خمسة عشر سنة ثم تحول فنزل الكوفة مع أخيه عمرو بن حريث ومات بالكوفة .

١٣ — سمرة بن جنادة :

ابن جندب بن حجر بن رباب بن حبيب بن سوءة بن عامر ابن صعصعة حليف بن زهرة ، توفى سنة ٥٨ وقيل ٥٩ وقيل في أول سنة ٦١ هـ .

١٤ — سعد بن يجير بن معاوية :

وهو الذي يقال له سعد حبته وهو من بجيلة ، مات بالكوفة من ولده خنيس بن سعد صاحب شهار سوج خنيس بالكوفة ومن ولده أبو يوسف القاضي يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن سعد وقد شهد سعد أحداً .

١٥ — عتبة بن فرقد :

وهو يربوع بن حبيب بن مالك بن أسعد بن رفاعة بن ربيعة من بيت بالكوفة يقال له الفراقد ، ولاه عمر في الفتوح ، فتح

الموصل سنة ١٨ هـ مع عياض بن غنم مات بالكوفة .

١٦ — عامر بن وائلة :

ابن عبدالله بن عمرو بن جحش أبو الطفيل الكناني توفي سنة ١١٠ هـ وهو آخر من مات من الصحابة .

١٧ عبد الله بن يزيد بن زيد الخطمي :

من الأنصار ابتنى بالكوفة داراً ومات في خلافة عبدالله بن الزبير وكان عبدالله ولاه الكوفة .

١٨ — عبد بن أبي أوفي علقمة :

أبو معاوية من أصحاب الشجرة ، ابتنى بالكوفة داراً في امسلم وتوفى بها سنة ٨٦ هـ .

١٩ — عدي بن حاتم الطائي :

أحد بني ثعل أبو ظريف ، ابتنى بالكوفة داراً فى طيء ولم يزل مع علي عليه السلام ، وشهد معه الجمل وصفين ، وذهبت عينه يوم الجمل مات بالكوفة سنة ٦٨ هـ زمن المختار .

٢٠ — عدو بن حريث بن عدو بن عثمان أبو سعيد :

ابتنى بالكوفة داراً الى جانب المسجد مات سنة ٨٥ هـ .

٢١ — عدي بن عميرة الكندي :

أبو زرارة روى عن النبي (ص) ، توفي بالكوفة سنة ٤٠ هـ .

٢٢ — قرضة بن كعب الأنصاري :

أحد العشرة من الأنصار الذين وجههم عمر الى الكوفة ابتنى بها داراً في الأنصار ومات بها في خلافة الامام علي عليه السلام وقد صلى عليه .

٢٣ ــ لبيد بن ربيعة :

ابن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة أبو عقيل مات بالكوفة في الليلة التي نزل بها معاوية في النخيلة لما صالحه الحسن بن علي عليه السلام سنة ٤١ هـ ودفن في صحراء بني جعفر بن كلاب .

٢٤ ــ مجمع بن جارية بن عامر بن مجمع :

وهو الذي روى الكوفيون انه جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا سورة أو سورتين منه توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان .

٢٥ ــ المغيرة بن شعبة :

أبو عبدالله شهد الحديبية وغيرها ، توفي بالكوفة في شعبان سنة ٥٠ هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان وهو بن سبعين سنة دفن في الثوية .

٢٦ ــ وائل بن مجد الحضرمي :

قال أبو نعيم : أصعده النبي على المنبر وأقطعه وكتب له عهداً وقال هذا وائل سيد الأشبال ثم نزل وائل الكوفة وعقبه

وبها توفي أيام خلافة معاوية .

٢٧ — هانيء بن أوس الأسلمي :

ابتنى بالكوفة دارا فى أسلم ، توفى أيام خلافة معاوية وفي أيام ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة .

# بعض أصحاب أمير المؤمنين (ع)

لقد دفن بعض من أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام في الثوية — تل بالقرب من مسجد الحنانة — ومنهم :

— جويرية بن مسهر العبدي : قتله زياد بن أبيه .

— كميل بن زياد النخعي : مات قتلاً سنة ٨٢ في أيام الحجاج .

— وخباب بن الأرت « مر الكلام عنه » .

— والاحنف بن قيس .

— وسهل بن حنيف سنة ٣٨ .

— وعبيد الله بن اوفي سنة ٨١ كان آخر من مات من الصحابة .

— وعبدالله بن يقطر : رضيع الحسين عليه السلام ورسوله الى ابن زياد .

ولم يعرف لهؤلاء قبر إلا قبر ينسب الى كميل بن زياد .

## جـ — الملوك والوزراء والاشراف :

ان النجف مقبرة تأريخية أثرية تضم رفات مجموعة من الأنبياء والصحابة والسلاطين والوزراء والاعيان والاشراف . ويعتمد في الوقوف على جملة من هؤلاء على كتابي مشهد الامام ، وماضي النجف وحاضرها (١) .

فقد جاء في ماضي النجف وحاضرها ص ١٥٩ ، انه لما تواترت الأخبار في فضل البقعة المقدسة عن أهل البيت (ع) وثبت لها مزية على سائر بقاع الائمة (ع)من رفع عذاب القبر عمن دفن بها وعدم سؤال منكر ونكير في البرزخ وانها محشر ارواح المؤمنين — ولما طار صيتها فى آفاق الشيعة في حياة أمير المؤمنين عليه السلام وبعد وفاته أخذت الشيعة تقبر موتاها بتلك التربة الطاهرة قبل أن يقبر بها مشرفها (ع) ، وتنقلهم اليها من الأقطار النائية ، مع ما يلقونه من وعثاء السفر ومشقة الطريق ومؤنة النقل ، فهم مع هذه المشاق والمتاعب يتفانون في نقلهم اليها طمعاً في خلاصهم من العذاب ، ورجاء شفاعته (ع) لهم ، وهذه جملة من المشاهير الذين دفنوا في النجف :

---

(١) ماضي النجف وحاضرها ص ١٥٩ .

# مدافن البويهيين

يذكر كتاب ماضي النجف وحاضرها عن مقابرهم فيقول : إن البويهيين بعد أن عمروا المرقد الشريف بنوا في ذلك المشهد المشرف مراقد عظيمة وجعلوا ينقلون موتاهم اليها ولم تزل تلك المباني موجودة من القرن الرابع الهجري ، ولكن لم يوقف لها على عين وأثر ، وقد ذكر ان عمارة آل بويه قد احترقت إلا ان قبورهم بقيت شاخصة [١] ، وقد اطلع بعض النجفيين على بعضها في الصحن الشريف عند قلع صخور الأرض سنة ١٣١٦ هـ ولهم أيضاً مقابر في سراديب خارج البلدة ، لم تزل معروفة بسراديب آل بويه . ومن هؤلاء :

١ ــ عضد الدولة المتوفى سنة ٣٧٣ : ــ دفن عند رجلي الامام علي عليه السلام وقد كتب على صخرته بوصية منه ( هذا قبر عضد الدولة وتاج الملّة أبي شجاع ابن ركن الدولة أحبّ مجاورة هذا الامام المعصوم لطمعه في الخلاص يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وصلوات الله على محمد وعترته الطيبين ) [٢] وكان هذا السلطان قد دفن أولا في دار الملك ببغداد ومنها نقل الى

(١) عمدة الطالب ص ٤٤ .

(٢) مجالس المؤمنين ص ٣٧٩ .

مدينة النجف الأشرف .

٢ — شرف الدولة المتوفي سنة ٣٧٩ : — صلى عليه أبو الحسن محمد بن عمر العلوي وحمل الى المشهد بالكوفة [١] .

٣ — بهاء الدولة : وهو ابن عضد الدولة توفي سنة ٤٠٣ [٢] .

## مدافن غير البويهيين

منهم :

١ — أبو الفضل العباس بن فسانجس :

توفي سنة ٣٤٢ بالبصرة وحمل الى مشهد الامام علي (ع) .

٢ — فخر الملك أبو غالب :

وزير سلطان الدولة توفي بالأهواز سنة ٤٠٦ ونقل الى مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

٣ — الوزير شرف الدين أنوشيروان بن خالد :

توفي سنة ٥٣٣ هـ بعد عزله وحضر جنازته وزير الخليفة فمن دونه ، دفن أولاً في داره ثم نقل الى مشهد الامام علي (ع) .

٤ — وزير شرف الدولة البويهي المغربي أبو القاسم حسين بن علي ابن محمد بن يوسف بن بجر بن بهرام بن مرزبان توفي سنة ٤١٨

(١) نفس المصدر ص ٣٧٨ .

(٢) نفس المصدر ٣٧٨ .

وذكر عنه ابن خلكان بأنه مات في منتصف شهر رمضان سنة ٤١٨ وحمل الى الكوفة بوصية منه ودفن بتربة مجاورة الى قبر الامام علي بن أبي طالب عليه السلام [١] .

٥ ــ مجد الدين أبو سعد المستجدي المعروف بطاشتكين :

توفي سنة ٣٠٢ وكان والياً في شوشتر وطورستان والحلة [٢] .

٦ ــ يعقوب بن داود بن ظمان علي المعروف بأبي حديد :

توفي سنة ٦٦ هـ وكان وزيرا للخليفة الناصر لدين الله العباسي .

٧ ــ الملك عز الدين عبدالعزيز بن جعفر النيسابوري :

توفي في بغداد سنة ٦٧٢ ، ونقل الى النجف وكان يتولى شسنكية ( مدير شرطة ) واسط ، والبصرة ، وكان حسن السيرة .

٨ ــ عماد الدين أبو الحسين محمد بن الوزير نصير الدين ناصر ابن مهدي العلوي الحسيني النقيب :

كان من البيت المعروف بالنقابة ، وكان ممن اعتقل مع والده فلما توفي والده عفي عنه ، وسكن الحلة وتوفي عام ٦٦٠ بها ، ونقل الى مشهد علي عليه السلام .

٩ ــ عماد الدين أبو مظفر ازبك بن عبد الله يعرف بالجوبدرا الناصري البغدادي الأمير :

(١) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٦ .

(٢) آثار الشيعة الامامية ج ٤ ص ٧٥ .

كان له اختصاص ، وملازمة بحضرة الامام الناصر لدين الله اخترمته المنية شاباً في الكوفة وكانت من اقطاعاته ، وقد سار في أهلها سيرة حسنة ، توفي سنة ٦٠٨ هـ ودفن في المشهد الغروي .

١٠ — السيد النقيب الطاهر رضي الدين علي بن طاووس :

توفي سنة ٦٦٤ ونقل الى المشهد الشريف وكان قد دفن أولاً في الحلة .

١١ — وأخوه النقيب جمال الدين محمد بن طاووس :

توفى سنة ٦٧٣ ، وانه نقل الى النجف وله مشهد أيضاً معلوم مشيد كأخيه فى الحلة .

## ـ مدافن الحمدانيين ـ

هم من ملوك الشيعة ولهم مواقف مشهورة في خدمة مذهبهم ولبعض آل حمدان ومنهم عبدالله بن حمدان شرف في المساهمة بتشييد ما استدار بالقبة التي يقال انها قبر علي (ع) .. وذكر ان آل حمدان ينقلون موتاهم من الشام وحلب وديار بكر والموصل وفارس وعراق العجم الى النجف ، وقد جاءوا بهداياهم الجمة الثمينة الى قبر علي عليه السلام .

## ـ مدافن الايلخانيين والجلائريين وغيرهم ـ

الايلخانيون من الدول الشيعية التي حكمت العراق ( ٧٣٦ — ٨١٣ ) هـ ، ومن منهم الى النجف :

١ — الشيخ حسن الكبير : توفي في بغداد سنة ٧٥٧ .

٢ — الأمير قاسم أخو السلطان أويس : المتوفى سنة ٧٧٩ ودفن الى جوار والده الشيخ حسن .

٣ — وعند قلع الصخور من ساحة الصحن الشريف ظهرت مقابر وسراديب تحت السراديب التي يدفن بها اليوم ، وقد شاهدها كثير من الناس مكتوب على بعض قبورها :

٣ — « المبرور شاه زاده سلطان بايزيد طاب ثراه توفي في شهر جمادي الأول سنة ثلاث وثلاثين وثمان ماية هلالية » .

٤ — وعلى آخر مكتوب « هذا ضريح الطفل السعيد سلالة السلاطين شاهزادة شيخ اويس طاب ثراه » .

٥ — وعلى آخر « الله لا إله إلا هو ، هذا قبر الشاه الأعظم معز الدين عبدالواسع أنار الله برهانه توفي في خامس عشر جمادي الأولى سنة تسعين وسبعمائة » .

٦ — وعلى آخر «هذا قبر السعيدة مرحومة نابنده سلطان» .

موقع هذه المقبرة بين مخلع الأحذية من الشمال وأواوين الصحن المتصلة بباب الطوسي .

٧ — وفي الصحن قبور اخرى بالقرب من ايوان العلماء له اشارة خاصة يحسبها البعض انها قبور لبعض من دفن من البويهيين .

٨ — وعلى باب رواق عمران بن شاهين صخرة هي لثلاثة

قبور أحدهما يضم رفات الامير نجيب الدين أحمد ، والثـاني محمود بن أحمد المهابادي والاخير قبر المرحومة سعيدة . وذكر ان هذه الأسماء الثلاثة تكون عائلة ملوكية من ملوك القرس في القرن الثامن للهجرة .

٩ — وممن نقل الى النجف من الملوك السيد عز الدين زيد الأصغر ابن أبي نمى ملك سواكن فإنه لما اخرج من سواكن قطن العراق فتوطن بالحلة وتولى النقابة بالعراق توفي في عهد السلطان محمد خدابنده ونقل الى النجف .

١٠ — وان قبر تيمور لنك في النجف بالقرب من قبر الشيخ الطوسي (ره) في سرداب في دار تحت الطاق ويتصل بالسرداب نفق ليس فيه من آثار يعتمد عليها وربما كان مدفن لعائلة تيمورلنك المتوفي سنة ٨٠٧ هـ وذلك الطاق المذكور قد تهدم .

## من نقل على عهد الصفويين ومن بعدهم من السلاطين والوزراء

فمن نقل :

١ — وزير شاه عباس السيد علاء الدين حسين بن الصدر الكبير : المتوفي سنة ١٠٦٤ وقيل١٠٦٦ هـ ،وفي ايوان العلماء توجد صخرة لبعض أفراد العائلة الصفوية .

٢ ــ السلطان محمد القاجاري : المتوفي سنة ١٢١١ هـ وقد استقبلت جنازته في النجف استقبالاً مهيباً ودفن في الرواق من جهة الشمال في حجرة خاصة تسمى اليوم بحجرة السلاطين .

٣ ــ أبو الملوك كيومرث مرزا الملقب بملك أراء ابن السلطان فتح علي شاه القاجاري : توفي في عاشر ربيع أول سنة ١٢٨٨ .

٤ ــ الصدر الأعظم ميرزا محمد شفيع : توفي سنة ١٢٣٤ ونقل نعشه الى النجف .

٥ ــ آقا خان المحلاتي زعيم الفرقة الاسماعيلية : توفي سنة ١٢٩٨ ونقل نعشه الى النجف .

وتوجد في خارج الصحن بين منازل المدينة مقابر مشهورة لكثير من السلاطين والأمراء والوزراء والأشراف والأعيان من العراق وسائر الاقطار ، من بويهين وملوك مصر ووزرائهم الفاطميين الاشراف ، ومن أمراء الهند وملوك ايران . فمن مشاهير الهند والي ولاية رامبور محمد حامد علي خان المتوفى سنة ١٣٤٩ وقبره في الأيوان الذي دفن فيه السيد كاظم اليزدي .

## د ــ العلماء : ــ

ما دامت عظمة هذه المدينة ، وتأريخها ، مرهونة بعظمة علمائها ، وتأريخهم ، فحري بي أن المح لمحة وجيزة عنهم :

فلست مغالياً ان قلت ان مدينة النجف الخالدة برجالها ،

أنجبت من الرجال رجالاً ، عزيمتهم لا تفتها مكائد وأحابيل أعدا
ولا تزعزعها أخطار ملحدين ، بل ساروا الى الامام لخدمة الطائ
غير وجلين ، فانضوت ازاءهم العقبات ، التي غدت حيال شمو
كيانهم اتفه مما يتوقع لها أن تكون .

كافحوا الاستعمار في شتى الأدوار ، ذلكم الذي انقضّ علم
العراق ، لينهب خيراته ، وثرواته ، وغرضه من ذلك تهدأة جشع
الذي ليس له من نضير . فصرخ العلماء الاعلام صرختهم المدوي
المجلجلة ، فانتفض الاستعمار مذعوراً ، يدافع ليصون بقائه
فاندلعت اثر ذلك نيران الثورة العارمة ، وسجل العلماء أقوالهم
ودفعوها الى المستعمرين ، وكانت أمضى من حدة السيف الذي
استل لقص رقابهم ، وسجلت بذلك المدينة مجدها ، ومجد علمائها
لما كان لهم من وطنية فذة وشجاعة عظيمة مستمدة من شجاعة
أسلافهم من المسلمين الذين اندفعوا كالسيل ،فطهروا الأرض من
أوضارها ، ثم اغدقوا عليها من فضائل الاسلام ، ومثله ، حتى
غدت نفوس ساكني تلك الأرجاء التي مرّ عليها المسلمون ،
متنعمة بروح من الاسلام وانسانيته .

وشجع العلماء الناس على طلب العلم والعرفان وأنشأوا جيلاً
مؤمناً قوياً في ايمانه ، فاتسع نطاق الدرس وأضحت بفضلهم النجف
مدرسة اسلامية كبيرة يؤمها المسلمون من شتى الأقطار للتزود

من مناهل الفكر الاسلامي ، والمعارف الاخرى .

وحين هبت على مدينة النجف المشرفة لفحة من الحاد ، وتسممت أفكار بعض أبنائها ، هب علماؤها صائحين دون اكتراث، ومعلنين بأن هذه الافكار تحض على الالحاد وتهيأ للفساد فكل من اعتنق الشيوعية كافر ، ومؤيدها مروج للكفر والالحاد .

هكذا ، كتب للنجف أن يكون شرفها وعلو مكانتها ، بمشرفها الامام علي عليه السلام ، ومكانة علمائها الأعلام ، الذين هم لها اليوم منار ساطع شامخ ، يستضاء بهم ويلاذ ، إن دهم الاسلام خطر ، أو نشبت بين الناس فتنة . والواحد منهم يسعى قدر قدرته وحوله ، لسد حاجة المعوزين ، وشد أزر من لبس الأسمال والأطمار ، ومواساة المرزوئين والمكلومين، والذين عاندتهم العقبات والدهر الحؤول .

فسقياً لهم من رجال لم تشغلهم من الدنيا ملاذ ، انما سعيهم، لتقويض الفساد ، وتقويم ما اعوج . وحسبك ان تعلم انهم ملؤا المخازن بمصنفات ومؤلفات ، هي للاسلام ذخر ، وللعلم منار ، ولأهل النجف بها الاعتزاز وافتخار .

فمغفرة ورضواناً للذين حباهم الله بجواره ، وسلامة ، ورعاية للبقية التي لم تفتر ساعة عن جهاد انما هو في سبيل الاسلام ، والمسلمين .

ومحاولتي في هذا المجال ، هي اختيار واحد أو اثنين من بارزي أفراد كل بيت من بيوتات النجف العلمية ، وبهذه المحاولة حصلت على نخبةٍ فذةٍ ، تكفي للاشارة الى ما احتوت مقبرة النجف من مشاهير العلماء . ففي الصحن الشريف ايوان للعلماء ، وهو ايوان كبير ملاصق للرواق من الجهة الشمالية ويعرف قديماً بمقام العلماء دفن فيه عدد كبير من العلماء . وقد رتبت ذكرهم على حسب الحروف الهجائية بالنسبة الى اسماء عوائلهم :

* العلامة محمد جواد بن الشيخ محمد الايرواني : توفي سنة ١٣٨٢ هـ ، له كتابات في الرياضيات .

* العلامة أبو القاسم محمد تقي الأردبادي : توفي سنة ١٣٣٣ هـ ، له القياسات في اصول الدين وكتب اخرى [١] .

* العلامة الشيخ طارق بن الشيخ محمد اطيمش : توفي سنة ١٢٩٩ هـ ، له ديوان شعر [٢] .

* العلامة السيد حسين بن السيد عباس الأشكوري : توفي

---

(١) أعيان الشيعة ، جـ ٧ ، ص ١٣٦ سيد محسن الأمين العاملي (ره) .

(٢) الحصون المنيعة ، جـ ١ — ص ٤٠٩ — الشيخ علي كاشف الغطاء . مخطوط .

سنة ١٣٤٩ هـ ، من مؤلفاته القضاء ، ومباحث الألفاظ [١] .

* العلامة الشيخ محمد كاظم الاخوند : توفي سنة١٣٥٧هـهو استاذ الاصول ومن مؤلفاته كفاية الاصول [٢] .

* العلامة الشيخ جعفر بن الشيخ محسن الأعسم : توفي سنة ١٢٨٩ هـ ، من مؤلفاته ، شرح الشرايع .

* العلامة الشيخ مرتضى الأنصاري : توفي سنة ١٢٨١ هـ له فرائد الاصول [٣] .

* العلامة مير علي سيد عباس أبو طبيخ : توفي سنة ١٣٦١ ومن مؤلفاته ديوان شعر .

* العلامة المولى أحمد بن محمد المقدسي الأردبيلي : توفي ٩٩٠ هـ ، له زبدة العباد [٤] .

* العلامة محمد جواد بن الشيخ حسن البلاغي : توفي سنة ١٣٥٤ هـ ، من مؤلفاته الرحلة المدرسية .

---

(١) أحسن الوديعة ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ — للشيخ محمد مهدي الأصفهاني .

(٢) الذريعة فى تصانيف الشيعة جـ ٦ ، ص ١٨٨ — أغا بزرك .

(٣) المستدرك جـ ٣ ص ٣٢٨ الشيخ النوري .

(٤) معجم المؤلفين — عمر كحالة جـ ٢ ، ص ٧٩ .

* العلامة السيد حسون البراقي : توفي سنة ١٣٣٢ هـ ، من مؤلفاته تأريخ الكوفة [١] .

* العلامة الأشتياني دفن مع العلامة الشوشتري ، وهو صاحب الحاشية على الرسائل ، ودفن معه أيضاً العالم الشيخ عبدالله المازندراني .

* الحاج علي محمد النجفي آبادي : كان من الأعلام الزهاد توفي سنة ١٣٣٢ هـ .

* العلامة السيد محمد رضا بن أبو القاسم الأسترابادي النجفي : توفي سنة ١٣٤٦ هـ ، من مؤلفاته الصوارم الحاسمة .

* العلامة محمد مهدي بن سيد مرتضى بحر العلوم : توفي سنة ١٢١٢ هـ ، من مؤلفاته الدرة النجفية [٢] .

* العلامة الشيخ أحمد بن اسماعيل بن عبدالنبي الجزائري: توفي سنة ١١٥١ هـ ، من مؤلفاته آيات الأحكام .

* العلامة السيد مهدي بن السيد صالح الحكيم : توفي سنة ١٣١٢ هـ ، من مؤلفاته مدارك الأحكام .

* العلامة الشيخ عبدالحسين الحلي : له مؤلفات جمة منها دين الفطرة « في جزئين » .

---

(١) مصفى المقال ــ أغا بزرك الطهراني ، ص ١٧٩ .

(٢) معجم رجال الفكر والادب ــ الشيخ محمد هادي الاميني

* العلامة محمد سعيد بن سيد محمود الحبوبي : توفي سنة ١٣٣٣ هـ ، له ديوان شعر .

* العلامة السيد حسين بن سيد علي الحسامي : توفي سنة ١٣٨٠ هـ ، من كتبه هداية المسترشدين .

* العلامة السيد سعد بن سيد فرج الله الحلو : توفي في القرن الحادي عشر ، له كتاب الخمس .

* العلامة الشيخ دخيل بن الشيخ طاهر الحجامي : توفي سنة ١٢٨٥ هـ ، له تحفة اللبيب في شرح منطق التهذيب .

* العلامة الشيخ عبدالله حرز : توفي سنة ١٢٧٧ هـ له حاشية في المنطق وديوان شعر [١] .

* العلامة جعفر بن الشيخ محمد الخضري : توفي سنة ١٣٠١ هـ ، له ديوان شعر [٢] .

* العلامة حسين بن الشيخ عباس الخاقاني : توفي سنة ١٣٠٠ هـ من مؤلفاته شرح الشرائع .

* العلامة محمد علي بن الحاج محمد حسن الخونساري : توفي سنة ١٢٥٤ هـ ، له مؤلفات جمة .

* العلامة الشيخ حسين بن الخليلي : توفي سنة ١٣٢٦ هـ ،

---

(١) معجم الأميني .

(٢) راجع الحصون المنيعة .

له نجاة العباد .

* العلامة الشيخ محمد يحيى بن الشيخ حسين الخمايسي : توفي سنة ١١٦٢ هـ ، له ديوان شعر .

* العلامة السيد جعفر بن السيد أحمد الخرسان : توفي سنة ١٣٠٣ هـ ، له مجاميع أدبية .

* العلامة عمر بن حاج أحمد دعيبل : توفي سنة ١٣٢٨ هـ ، من مصنفاته نور الأبصار .

* العلامة أحمد بن شيخ عبدالله الدجيلي : توفي سنة ١٢٦٥ هـ ، له ديوان شعر .

* محمد رضا بن الشيخ محمود ذهب : توفي سنة ١٣٧٤هـ له ديوان شعر .

* العلامة الشيخ راضي بن الشيخ محمد آل راضي : توفي سنة ١٢٩٠ هـ ، من مؤلفاته حاشية على نجاة العباد .

* العلامة الشيخ علي بن ياسين الفويشي : توفي سنة ١٣٣٤ هـ ، له كتاب في المنطق .

* العلامة الشيخ حسن بن الشيخ محمد صالح زاير دهام : توفي سنة ١٢٩٩ هـ ، له ديوان شعر .

* العلامة الشيخ محمد بن الشيخ أحمد سميسم : توفي سنة ١٣١٠ هـ له ديوان شعر .

* العلامة الميرزا حسين بن الميرزا محمود الشيرازي : توفي سنة ١٣١٢ هـ ، من مصنفاته اجتماع الامر والنهي .

* العلامة السيد عبدالهادي السيد اسماعيل الشيرازي : توفي سنة ١٣٨٢ هـ ، من مؤلفاته حاشية العروة الوثقى .

* العلامة السيد عبدالله شبر : توفي سنة ١٢٤٢ هـ ، دفن في الرواق له مصنفات كثيرة منها حق اليقين .

* العلامة المولى محمد بن فضل علي الشربياني : توفي سنة ١٣٤٧ هـ ، من مصنفاته حاشية المكاسب .

* العلامة السيد محمد باقر بن السيد علي الشخص : توفي سنة ١٣٨١ هـ ، من مؤلفاته ديوان شعر .

* العلامة عبدالحسين بن سيد يوسف شرف الدين : توفي سنة ١٣٧٨ هـ ، من مؤلفاته النص والاجتهاد .

* فخر الدين بن محمد علي الطريحي : توفي سنة ١٠٨٧ هـ من مؤلفاته مجمع البحرين .

## ـ الطوسي ـ

هو شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي ، ولد بطوس في شهر رمضان سنة ٣٨٥ هـ ، ونشأ بها . هاجر الى العراق ، واستوطن بغداد سنة ٤٠٨ هـ ،

وهو في الثانية والعشرين من عمره ، هاجر الى النجف سنة ٤٤٨ هـ . وتقلد شؤون الطائفة الامامية توفي في النجف ليلة الاثنين الثاني والعشرين من محرم سنة ٤٦٠ هـ ودفن بداره بوصية منه(١).

ومؤلفاته كثيرة ، منها : الاستبصار ، الأمالي ، التبيان في تفسير القرآن ، التهذيب ، الخلاف ، تلخيص الشافي ... الخ .

واحياءً لذكرى مرور الف عام على تأسيس الجامعة النجفية العلمية الكبرى ، وعلى ميلاد مؤسسها شيخ الطائفة وسيد العلماء محمد بن الحسن الطوسي ، التي ستقام سنة ١٣٨٥ هـ ، قدمت هذا الكتاب .

* العلامة الشيخ حسين بن الشيخ على العصامي : توفي سنة ١٣٠١ هـ ، ومن مؤلفاته شرح اللمعة للشهيد .

* العلامة الشيخ عبدالصاحب بن عباس الغريباوي : توفي سنة ١٣٤٥ هـ ، من مؤلفاته ديوان شعر .

* العلامة الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمد الغراوي : توفي سنة ١٣١٠ هـ ، من مؤلفاته الكشكول (٢) .

* العلامة الشيخ موسى بن الشيخ سالم الفرطوسي : توفي

---

(١) مصادر الدراسة عن الشيخ الطوسي — محمد هادي الأميني ص ٦٨ .

(٢) طبقات أعلام الشيعة — اغا بزرك — جـ ١ ص ٢٣ .

سنة ١٣٦٣ هـ ، من مؤلفاته المنطق .

* العلامة الشيخ راضي بن الشيخ علي القرملي : توفي سنة ١٣٢٩ هـ ، من مؤلفاته ديوان شعر .

* العلامة الشيخ عباس بن الشيخ محمد تقي القرشي : توفي سنة ١٢٩٩ هـ ، من مؤلفاته ديوان شعر كبير .

* العلامة الشيخ قاسم بن الشيخ حمود قسام : توفي سنة ١٣٣١ هـ ، من مؤلفاته نور العين في أحكام الزوجين .

* العلامة الشيخ حسن بن الشيخ علي قفطان : توفي سنة ١٢٧٥ هـ ، من مؤلفاته امثال القاموس .

* العلامة السيد خضر بن السيد علي القزويني : توفي سنة ١٣٥٧ هـ ، ومن مؤلفاته ديوان شعر كبير .

* العلامة السيد أغا حسين بن السيد محمود القسي : توفي سنة ١٣٦٦ هـ ، ومن مؤلفاته مجمع الرسائل .

* العلامة محمد حسين بن الشيخ علي كاشف الغطاء : توفي سنة ١٣٧٣ هـ ، من مؤلفاته الدين والاسلام .

* العلامة السيد عبدالحسين بن السيد علي كمونة : توفي سنة ١٣٣٥ هـ ، من مؤلفاته نور الهداية .

* الحاج محمد حسن بن الحاج محمد صالح كبة : توفي سنة ١٣٣٣ هـ ، من مؤلفاته حاشية على كتاب الطهارة .

* العلامة السيد جعفر بن السيد محمد حسين كيشوان : توفي سنة ١٣٤٧ هـ ، من مؤلفاته ديوان شعر .

* العلامة الشيخ محمد ابراهيم بن محمد حسن الكرباسي : توفي سنة ١٢٦١ هـ ، من مؤلفاته الصحيح والأعم .

* العلامة الشيخ محمد حسين بن الحاج محمد حسن الكبباني الأصفهاني : توفي سنة ١٣٦١ هـ ، من مؤلفاته الأنوار القدسية (١) .

* العلامة السيد جمال الدين بن السيد حسين الكلبايكاني : توفي سنة ١٣٧٧ هـ من مؤلفاته اجتماع الأمر والنهي .

* العلامة الشيخ محمد بن الشيخ ناصر لايذ : توفي سنة ١٣٢٦ هـ ، من مؤلفاته ، اللؤلؤ المنضد في أخبار آل محمد .

* العلامة الشيخ حسن بن الشيخ عبدالله المامقاني : توفي سنة ١٣٢٣ هـ ، من مؤلفاته غاية الآمال .

* العلامة الشيخ حسين بن الشيخ محمد مبارك : توفي سنة ١٢٨٩ هـ له ديوان شعر كبير .

* العلامة الشيخ علي بن الشيخ مانع : توفي سنة ١٣٤٨ هـ من مؤلفاته ، مياه النجف .

* العلامة الشيخ أحمد بن الشيخ علي محبوبة : توفي

---

(١) الفوائد الرضوية للشيخ عباس القمي ص ٥٢٩ .

سنة ١٣٢٥ هـ ، من مؤلفاته ارجوزة في المنطق .

* العلامة الشيخ شريف بن الشيخ محمد محيى الدين : توفي سنة ١٢٤٦ هـ ، من مؤلفاته الشرايف الجامعة .

* العلامة الشيخ حسن بن الشيخ مطر : توفي سنة ١٣٢٩ هـ ، من مؤلفاته غاية المرام .

* العلامة الشيخ محمد حسن بن الشيخ محمد مظفر : توفي سنة ١٣٧٥ هـ ، من مؤلفاته دلائل الصدق .

* العلامة الشيخ محمد حسين بن الشيخ محمد مظفر : توفي سنة ١٣٨٠ هـ ، من مؤلفاته ، الامام الصادق .

* العلامة الشيخ محمد رضا بن الشيخ محمد مظفر : توفي سنة ١٣٨٣ هـ ، من أشهر مؤلفاته المنطق وأصول الفقه .

* العلامة الشيخ حسين بن حاج نجف : توفي سنة ١٢٥١ هـ ، من مؤلفاته الدرّة النجفية .

* العلامة الشيخ حسن بن الشيخ محمد نصار : توفي سنة ١٢٨٨ هـ ، له ديوان شعر .

* العلامة الشيخ محمد رضا بن الشيخ عبدالحسين آل ياسين : توفي سنة ١٣٧٠ هـ ، من آثاره سبيل الرشاد .

* العلامة السيد محمد كاظم بن السيد عبدالعظيم اليزدي : توفي سنة ١٣٧٧ هـ من مؤلفاته العروة الوثقى .

* العلامة الشيخ يعقوب بن الحاج جعفر اليعقوبي : توفي سنة ١٣٢٩ هـ ، له ديوان شعر .

هذا ، وعند الحديث عن أدب الجدران « مما كتب على واجهات القبور من شعر ونثر » داخل المدينة ، وفي حجرات الدفن في الصحن الطاهر سترد اسماء نخبة أخرى من علماء النجف المجاهدين الافذاذ، واسماء طائفة من الرجال المرموقين الآخرين .

# السراديب التي تحتويها المقبرة

السرداب : حفر واسع عميق ، يحفره الانسان عمودياً في الأرض ، ثم يبني له جدراناً وسلماً ، ويسقفه بعد ان يترك له فتحات لدخول النور والهواء • وسراديب الدفن في مقبرة النجف كثيرة جداً قرب الشارع الملتوي وعند الأماكن التي يكثر عليها الذهاب والأياب •

ويتراوح عمقها ما بين ثلاثة أمتار أو أربعة أمتار أو عشرة ، وتضم هذه السراديب عادة أموات كل عائلة اختارت لنفسها سرداباً تجمع فيه الذين يتساقطون منها مر الزمان • ويمكن وصفها بأنها تتكون من طابقين أو ثلاثة طوابق كل واحد منها يحتوي على صف من اللحود يتراوح عددها ما بين الخمسة والثمانية ، وهي ضمن جدرانها • اما ساحات السراديب فتكون في بعضها مبلطة كالفناء أو الساحة ، أو قد يدفن فيها أحياناً •

والسراديب قسمان من حيث السقوف ، الأول مسقوف بسقف عادي ، والآخر مبني" عليه بنايات تضم عدة غرف ، هي مكان يجلس فيه الزائرون من ذوي الفقداء وأصدقائهم •

والمعتاد ان ذوي كل مقبرة يعينون شخصاً يلازمها ، لحراستها وقراءة القرآن عندها ، بأجور زهيدة •

ومن السراديب ما بقي مهجوراً دون بناء وهو خطر على الزائرين أثناء تجوالهم في المقبرة .

اما الفتحات الموجودة في السرداب والمخصصة للدفن تكون بمجموعها ما يشبه خلية النحل ، تغلق كل فتحة بعد أن يدفن فيها انسان . وهذا النوع من السراديب أو القبور شائع في مقبرة النجف ، وقد زاد الميل الى حفر وبناء السراديب من قبل كثير من العوائل المتمكنة في الآونة الأخيرة حتى غدا عددها ، الحديث منه والقديم ، يبلغ المئات .

وان سبب ظهور هذا الطراز والاكثار منه يمكن حصره بأمرين هما : زيادة وصايا الذين قرب أجلهم الى ذويهم لتحقيق هذا النوع من الدفن ، ورغبة الأحياء في حفظ قبور موتاهم من الاندثار ، ولتكون السراديب بنفس الوقت مرقداً معداً لهم بعد موتهم . وهذا يعلل لنا كثرة السراديب في الأجزاء التي يكثر الدوس عليها ، وبنوع خاص ما بين نهاية شارع الطوسي ومقام الامام المهدي عليه السلام .

اما تكاليف حفر وبناء السرداب الواحد ، يتفاوت بتفاوت سعة السرداب المراد حفره وبناؤه وعدد لحوده ، وشكل وارتفاع البناء يطلب احياناً تشييده فوق السرداب ، فهي تتراوح ما بين ١٠٠ — ١٠٠٠ ديناراً .

# الدفن في المنـــازل

ان الأكثرية من منازل مدينة النجف مبنية على قبور قديمة ، لأن الأرض التي تحيط مرقد الأمام كان قد دفن فيها ، وقد حدثني البناؤون بأن كثيراً من منازل النجف القديمة التي هدموها لغرض اعادة بنائها من جديد ، ولشروع حفر سراديب جديدة لها تساعد على التخلص من حر الصيف وهوائه اللافح ، تحتوي أرضها لحوداً ورميماً .

والدفن لا يزال جارياً في كثير من المنازل ، ويتم ذلك بأن يعزل صاحب الدار حيزاً من داره ، ويجعله مقبرة له ولعائلته ، أو يحفر سرداباً خاصاً به ، ويبني فوقه قبّة ، وتكون البناية بعد ذلك بمجموعها منفصلة عن منزله .

والناظر من فوق مرتفع أو سطح عالٍ الى مدينة النجف يشاهد قبباً خضراء وزرقاء متناثرة ، أكثرها في في جانب العمارة ( الجهة الغربية من المدينة ) ، وقد أدى فتح الشوارع الجديدة الى هدم وطمر قسماً من المنازل وسراديب الدفن التي احتوتها .

والدافع الذي دعا بعض الأشخاص وحثهم على أن يوصوا في حياتهم بأن يدفنوا في منازلهم بعد موتهم هو رغبتهم في دوام

قبورهم وتخلصها من الاندثار ، ويضاف الى ذلك رغبتهم في دفنهم بين ظهراني ذويهم وفي كنف من دارهم . ولربما أخافتهم وحشة الابتعاد في القبر عن الأهل والدار ، فبلغوا وصيتهم ذويهم ليدفنوهم في قعر دارهم .

وفي هذه الخوالج المؤدية الى توصية الذين قرب أفولهم للدفن في منازلهم بعض محاسن ، غير ان مساوءها أكثر من محاسنها ومنافعها . لأن أحسن الدفن ، ان صح رأيي ، هو ما بعد عن المجال السكني .

# من أدب الجدران
## ـ مما دون على واجهات القبور داخل المدينة ـ

وانطلقت أجوس في أزقة المدينة ، أتعرف على مدى استمرار الدفن في المنازل ، وبينها ، وما عرجت على شيء حتى عرفت ان هذا النمط من الدفن لا يزال جاريا ، وان كان مكان يُعد خاصا للدفن يدعى بمقبرة ، فمثلاً هذه البناية مقبرة آل فلان وهذه ، مقبرة بيت فلان في دارهم أو قرب مسجدهم . والعناية بهذه المقابر على أتمها ، وقد لاحظت ان أكثر المقابر قد زينت واجهاتها بآيات بينات من القرآن الكريم ، وبأبيات من الشعر رائعة المعاني ، وجميلة الأداء . وقد خطر في ذهني ان أقتنح صفحة في كتابي عنوانها أدب الجدران حيث ان كل الاعتماد في اتمامها على بعض مما كتب على واجهات القبور داخل المدينة من شعر ونثر :

فها أنذا مشرف على ضريح عامر بناؤه ، قد وُدع فيه فقيه من فقهاء النجف الكرام ، عظيم المنزلة ، رفيع المقام . وقد أرخ عام وفاته بهذه الأبيات التي دونت على واجهة مقبرته وهي :

هذا المقـــام ترفعت أعتـــابه ... شأناً وجازت مطلع الجوزاء
وضريح قدسي فيه اودع غرة ... الأيام سرّ الملّة الغـــراء

هذا ملاذ الخائفين فلذ بـــه ارخ مضجع افقهِ الفقهاءِ

وان في الطرف الشمالي الغربي والغربي من النجف حشدا من القبور بين المنازل ، فهذا أحدها ، لامام فقيه من أئمة العصر قد أرخ الشاعر عام وفاته ، وجلّى بعضاً من مكرماته ، بأبيات كتبت على واجهة قبره هي :

هـــذه بقعة قدس هي للمهدي مشهد
هي للخائف كهف وهي للطائف معبد
حرم ينزل فيه الوحي والأمـــلاك تصعد
لامام العصر ارخ انه في خير مرقـــد

* * *

وعلى واجهة هذا المرقد المنوّر تجلت بعض مزايا فحل من رجال الفكر الاسلامي ، ببيتين قد كتبا بخط جميل هما :

أسرار احمـــدٍ فيـــه بل ســـرائره
بين الأنام بتيماتٍ جواهـــره
ذا مرقد الحسن الزالي الذي قد رحبت
اسرار احمد فيـــه بل سرائره

ويرقد هنا في عفر ثرى مقبرة يطل جانب منها على الجهة

الجنوبية من الشارع المحيط بمرقد الامام علي عليه السلام ، ضيفان على الامام (ع) . كان ارتحالهما قد أفاض قريحة الشاعر الذي قال يرثيهما ، ويؤرخ عام وفاتهما :

خطب أطل فأودى القلب في شغل
انحى على المجد فيه صارمَ الأجلِ
بني الأعاسم صبراً ان هوى بكم
بدرٌ تمامٍ وبدرٌ غير مكتمل
فحاتم وعزيز غاب نجمهما
في الأربعين بحيث العهد لم يطلِ
فقلت مذ رحلا رزءاً أؤرخه
ضيفان حلا لدى صنو النبي علي

* * *

وعلى واجهة جامع المحدث الفقيه الشيخ فخر الدين الطريحي الأسدي دونت أبيات توضح فضل ومكانة هذا العالم الذي أرداه المنون ، فخسره عالم الاسلام ، ومسجده يقع في طرف البراق في الجهة الجنوبية من النجف وهي :

رزء أصاب حشى الهدى والدين
مذ فخره اودى بسهم منونِ
علم له علم العلوم وفضله

منشورة أعـلامـه ليوم الـدين
سل مجمع البحرين والـدرر التي
جمعت بـه عن علمه المخزون
وانظـر لتأليفـاته وبيـانه
الشـافي بعين بصـيرة ويقين

وهذا قبر مطل على شارع السور يبدو أنه لأحد الوجهاء المرموقين الذين انقادت لهم أسباب الدنيا ، غير ان مؤرخ عام وفاته أفصح بأن الفقيد هجر الدنيا حين فتحت الجنان لروحه أبوابها فقد قال :

قد طلق الدنيـا ثلاثاً راحل — من بعد ما انقادت له أسبابها
هذي جنان الخلد ارخ ناعياً — فتحت لروح محمد أبوابها

وهذه أربعة أبيات رصينة الأسلوب جميلة المعنى كتبت على واجهة المقبرة التي ضم ثراها قسماً من علماء الشريعة والفكر وهي :

هذا مقام فيه قـد ثوى الحسن — سليل جعفر الامـام المؤتمن
ثم اخوه جعفـر من علمـه — قد شع كالغرة في وجه الزمن
وابن أخيـه العلم المهـدي — والقائم بالحق فروعـاً وسنن
ثم ابن موسى بن الامـام جعفر — محمد الندب الرضا رب المنن

***

وعلى جدار هذه المقبرة المطلة على شارع السور في الجهة

الشمالية من المدينة ، كتبت أبيات تؤرخ عام وفاة فقيه مجاهد في الله ، وتذكر بعضا من فضائله وعلو شأنه وهي :

ذي حضرة تسطع أنوارهـا
كأنهـا قد حوت التبـر اللجين
حازت فقيـه العلمِ فردَ التقى
والعـلم آلفـائز بالحسنين
لأنفـرد الشيخ بتأريخـه
بكَ نَضجعُ العلمَ وعبدالحسين

* * *

وطالعتني حين وقفت أزاء جدار مقبرة طرف العمارة أبيات نقشت عليه بخط حسن جميل ، وهي في غاية من الروعة من حيث رصانة الاسلوب ورفعة المعنى ولطافته . وقد أخبرتني هذه الأبيات عن رفعة مقام الذين رقدوا في المقبرة التي تجلت شامخة ازائي ، فمنهم المفكر العظيم ، ومنهم المجاهد الفقيه ، ومنهم العالم الورع الزاهد ، وهي :

يالك من بقعة فخر حوت اعلام قدس في ذرى المجدِ
ابحـر علم مـدها جعفر أيمة تهـدي الى القصـد
قد شـاد مبناها ابو باقر فحاز فيها جمل الحمـد
مدخرافيها له مرقـدا وتلك اقصـى رتبِ الزهـد

من طول العمر يأديــه ان  لابد للســـيف من الغمـــد
طــوباه اذ يصــبح مثواه  في اخراه بين الاب والجدّ

* * *

وكتب على واجهة مسجد الطوسي الواقع في طرف المشراق هذا القول : هذا مرقد اية الله العظمى صاحب الكرامات الباهرة السيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي وأولاده الصلبيين خاصة تغمدهم الله برحمته ورضوانه جدد سنة ١٣٨٣ هـ .

* * *

وعلى جدار جامع الطوسي الخلفي نفسه تأريخ لوفاة شيخ الطائفة الامام الشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفي سنة ٤٠٦ هـ وهي :

يا مرقــد الطوسي فيك قد انطوى
محي العلوم فعدت اطيب مرقــدِ
وبكى له الشــرع الشريف مؤرخاً
أبكى الهدى والدين فقد محمـــد

* * *

ونقل لنا الشيخ جعفر محبوبة في كتابه ص ٤٣ الابيات التي كتبت على باب الطوسي من خارج الصحن الشريف :

يا زائر جدث الوصـــي المرتضى
ـلذ في حماه وقف بجانب بابـــه
واخضـع لعز جنابـــه والثم ثرى
اعتابه وانشـــق عبـير ترابـــه
وادخل باداب الســـكينة واستلم
اركانـــه عند الطواف بغابـــه
وقل السلام عليك يا من حبـــه
كل الخطـــايا في غد تمحى بـه

وباب الصحن الشريف كان يسمى بالباب السلطاني في جهة الغرب ، فتح في ايام عبدالعزيز العثماني سنة ١٢٧٩ ، كتبت ابيات بالقاشاني على جبهة الباب من خارج الصحن .

وان في جهة باب الكبير الشرقي الى يمين الداخل الى الصحن الشريف ابياتا مكوبة على الطاق من داخل الصـحن الشـريف وهي :

يا علي يا امير المؤمنـين — انت باب الله والحق المبـين
خصك الله وصيا واخـا — للنبي المصـطفى طه الامـين
كل من مات من الناس رأى — عنده شخصك في عين اليقين
تورد الحوض مواليك غدا — يا مقيلا عثرات المذنبـين
لك من بين الوصيين حمى — روضة العافين آمن الخائفين

جنة ، جنة عـــدن دونها  فأدخلوها بســلام آمنــين

***

وهناك في مسجد صافي صفا ، وقد مر الحديث عن هــذا الرجل ومكان دفنه ، صخرتان عليهما شعر مع تاريخ ، والقصيدتان عربيتان يرجع تأريخهما الى اوائل القرن الثامن عشر الهجري ،على الصخرة الاولى دون :

هذا مقام الطهر مولى رقى  اعلى مقامات العلى قدره
اعني به المولى التقي الذي  في كل قطــر قد فشــا بره
ضمت به مجدا الى مجدها  (عصيدة) مــذ عمها فخر
رب سخاء ما حلت بيضـــــه  في عينه يوما ولا صفره
فيا له كم شــاد من مســجد  ينمو الى يوم الجزا اجره
هذا مقام الطهر هذا الــذي  شيدت على اس التقي جدره
اعظم به من مسجد لم يزل  يبدي لنا فيض المنى بحره
لو أنه عمرٌ قــدما كــــذا  ايوان كسرى ما فشى سره
ولو درت جنـــة عــدن به  ودت بأن يصحبها نشره
يا ايها الزائر زر مســـجدا  بحطه عظم له قدره(كذا)
واشكر فتىً عمره وادع ان  يطول ما طال المدى عمره
لقـــد اتى تأريخ تعمـيره  فيه (تقى) وواجب شكره

وعلى الصخرة الثانية دون :

فناهيك صـــرحا يزري كل من رأى
اناخ على العليـا بأعظـم كلـكل
سما قدره اعلى المجرة رفعـــــةً
وجـر عليهـا ثوب مجـــد مرفـل
تـــلافاه لمـا ان تـــداعى بنـاؤه
وخر الى اقصـــى الحضيض المهيل
هام بنى بيت الفخا ر على الســهى
ففات ســـماكا رامحا بعـد اعزل
بهي جـــــلا ديجور كل مهمـــه
فأضـــاء ببادي نوره كل مجـــهل
جواد يفوت البحر جود يمينـــــه
ويزري بـــكاف من الغيث مسبل
فجـــدد من اكنافه كل هامـــــد
وقوم من ارجـــائه كل اميـــل
فمُـذ زاره بانيـه قلت مؤرخـــا
مقام الصـــفا قد شد أركانه علي

تأريخه ١١٨٧ هـ

وهناك الى جوار هاتين الصخرتين صخرة ثالثة عليها بيتان الفارسية مؤرخان سنة ١١٦٥ هـ حول هذا التجديد هما :

بخ از شريف وادي نجف اســـت
فيض در جهان بكربلا ونجف أست
گاه ارواح قـــدس دراين تأريخ
برجاده صفه صفاي نجف أســـت
سنة ١١٦٥ هـ

وفي صفة الصفا مقام لعلي عليه السلام ، قد كتب على محراب هذا المقام بيتان من نظم سيد حسين بن السيد مير رشيد النقوي:

هذا مقام الطهر حيـــدرةً عين العلا والعطاء والعز والعظم
باب العلوم مصلى القبلتين مع المختار بيت المجـد و الكرم

* * *

اما عندما طرأت التصليحات على مرقدي هود وصالح عليهما السلام وأنشأت عمارة ثالثة ذلك سنة ١٣٣٧هـ ، فقد دونت ابيات تؤرخ هذه العمارة وهي مكتوبة على واجهة الباب :

سما لضراح الافق دون الضـــرايح
ضريح علا ســـــام بخير الاباطح
تود الثـــريا أن تـــكون ثرى الى
جـــوار علي خير هاد وناصـــح
فدع واحـــد الدنيا وارخ : مجددٌ
ضريح الهـــدي هود الزكي وصالح

وذكر ان العلامة السيد نصر الله الحائري نظم بيتين ودونهما على مقام الحجة عجل الله فرجه وهما :

أيا صاحب العصر ان العدى ارانا الكواكب بالظلم ظهرا
فأطلع لنا فجر سيف به تجلي ظلام العنا المكفهرا

وهنا في طرف العمارة مرقد لسيد فاضل وعالم بارع كتبت على واجهة قبره ابيات تنعيه وتؤرخ وفاته هي :

مال الهدى مدرعا اثواب الكسا
وللمعالي علم قد نكسا
نعم قضى المهدي نجل صادق
من شاد اركان الهدى واسسا
هو الضراح شرفا ورفعة
فأرخوه بالضراح رمسا

وفي مقبرة السيد نور الياسري في طرف البراق كتب البيتان، وهما للسيد المرحوم رضا الهندي ( نور الله ضريحه ) :

هذا ضريح فيه نور الهدى
وهو بنور الله مغمورُ
وكيف يخشى ظلمات الثرى
ارخ ضريح ملؤه نور

## الصحن الشريف والدفن فيه

« كانت أرض الصحن وعرة لكثرة ما فيهـــا من قبور ومحاريب ، وكانت سائر المحاريب ظاهرة على وجه الارض ، وفي سنة ١٢٠٦ طمست ساحة الصحن ، وعملت السراديب الخاصـة بالدفن ، وبلطت أرض الصحن بالصخور والمرمر ، والتصليحات في ساحة الصحن جارية ، والدفن فيه جارٍ لحد الآن ، [١] ولحد الآن .

وفي سور الصحن الرباعي عـدد من الاواويـين وزاء كل ايوان حجرة اعدت لتكون مقبرة ، وقد دفن في تلك الحجرات عدد كبير من المشاهير .

## من ادب الرثاء

## الموجود في حجرات الصحن الشريف

ان الحجرة الاولى التي دخلتها هي مقبرة السيد «ابي الحسن الاصفهاني (ره) وهي الحجرة الواقعة على الجانب الايسر بالنسبة

---

(١) راجع كتاب ماضي النجف وحاضرها ـ الجزء الاول ـ « الطبعة الثانية » .

للداخل الى الصحن من الباب الرئيس • وفيها دفن قسم من العلماء الذين جاهدوا جهاد الجبابرة لرفع شأن العلم ، ونشر راية الايمان ، ودافعوا عن الاسلام ، وناصروا المستضعفين ، ذلك بتجنيدهم عقولهم واقلامهم ، والسنتهم ، فكان سعيهم مشكورا ولهم عند ربهم اجر وفير وهم :

السيد ابو الحسن الاصبهاني المتوفي سنة ١٣٧٦ هـ

والسيد حسن نجل السيد ابي الحسن ، المتوفى سنة ١٩٤٩م بين فريضتي المغرب والعشاء وسط الصحن الشريف ليلة الاحد السادس عشرة من صفر •

والسيد مير الحسيني البادكوبي ، المتوفى سنة ١٣٥٩ هـ ليلة السابع من ذي القعدة •

والسيد حسين اصفهاني ، المتوفى سنة ١٣٤٨ هـ •

والعلامة الاخند الخراساني محمد كاظم ، المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ •

والعلامة الشيخ مرزا حبيب الله الرشتي •

والعلامة الشيخ اسحاق الرشتي •

فالداخل الى الحجرة يشاهد قبرا وسطها ، مغشى بقماش اخضر عليه بعض الفوانيس ، وعلى الجدار علقت صور كبيرة كتمثال لأولئك العباقرة الذين رمسوا فيها ، ابرزها صورة السيد

ابي الحسن (ره) والى الاسفل من صورته على نفس اللوحة ، كتب تأريخ وفاته الذي نظمه الاديب الشيخ محمد السماوي :

تو الى ابو الحسن المكرمات واشتغل فيهن افكاره
ولما رأى طيب ذاك الجوار ارخ — ابو الحسن اختاره

وقرب صورته الباهرة المنورة ، لوحة كتب عليها بخط حسن بديع ، ما يشبه الدعاء ، أعد ليقرأ من يبتغي التسليم على ابي الحسن (ره) ، من دخل حجرة مرقده رحمه الله ، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

رحمك الله يا ابا الحسن ، عشت سعيدا ، ومت سعيدا ، وكان يومك مشهودا ، وفضلك معدودا ، فمن للعيون ان تفتح على ندك ، ومن لهذه الامة المفجوعة من بعدك ، ما اقر عيون أجدادك برؤيتك ، وما اشد وحشة اولادك واحفادك لغيبتك ،العلم بعد يومك متعطل ، وحوائج الناس متروكة تغفل ، لقد كنت للبتامى أبا كريما وبالمؤمنين برا رحيما ، رقيقا على الارقاء ، شديدا على الاشداء ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، قيامك بالله وقعودك لله ، وعملك في الله ، لا تأخذك في الحق لومة لائم ولا تخشى فيما تفعله سطوة معتد غاشم ، الذليل عزيز عليك ، والعزيز ذليل لديك ، لا يطمح شريف في ان تحكم له ، ولا ييأس ضعيف من أن تأخذ له ، لو كانت ارادتك سيفا لكانت صارما :

ولو كان كرمك شخصا لكان حاتما ، جمعت العقل والرياسة ، وحسن الخلق والكياسة ، منطق سهل وقول فصل ، فقدناك فقد البدر في الظلماء ، واين البدر ما كان لك سنا وسناء ، فهنيئا لك الدار الاخرى ، ولاجر الاخرة خير لك وابقى ، وجزاك الله عن هذه الامة خير جزاء ، واحسن لها بفقدك العزاء ويسر لها من لطفه من يقوم مقامك بأمورها ، وخار لها في تقرير مصيرها ، السلام عليك يوم ولدت كيوم مت ، ويوم تبعث حيا .. وانا لله وانا اليه راجعون .

وللسيد الفاضل صادق الاعرجي البغدادي مؤرخا وفاة السيد رحمه الله ايضا :

وطائش فكر قال لي متعجبا  لمن هذه الاجفان دمعها غرقى
ومن هوميتا زلزل الارض والسما  فقلت ارخ هو العروة الوثقى

اما مؤسس الفاضلي فقد كتب هذه الخاطرة في رثاء فقيد الاسلام والمسلمين ، ومروج العلم والدين ، زعيم الطائفة الامامية ومرجعها المطلق استاذ العلم والعلماء ، وقد علقت على الجدار هي الاخرى الى جوار اللوحات السابقة وهي :

ابو الحسن الحاوي لكل فضيلة
لك الدهر في حصر الفضائل يشهد
جدير بفضلك يوم كنت زعيمها

وفي الدين والدنيا ملاذ ومقصـــد
رؤوف بنا قـــد كنت ترأس امرنا
جواد علينا بل من المزن اجـــود
فقـــدنا بك الاحسان والفضل كله
ومثلك يا حامي الشـــريعة يفقد
فأتعبت اهل الفضـــل ممن تأخروا
وانسبت من في الفضل قدما تفردوا
فأمك حوراء النســـــاء وحيدر"
ابوك ونعم الجـــد جدك احمـــد
ثويت قرير العين في بقعـــة الحمى
وروحك في روض الجنان مخلـــد
عليك سلام الله يا اوحـــد التقى
بمقدار ما يدعى الاله ويعبـــــد

وقرب اللوحة الناطقة هذه التي اسلفنا ، اخرى نظمها العالم المرحوم السيد رضا الهندي مؤرخا عام وفاة العلامة الحجة السيد مير الحسيني البادكوبي :

بـــكى لك الـــدين بـــدمع غزير
والشـــرك قـــد بات بطرف قرير
عز علينـــا يا نصـــير الهـــدى

ان الهـــــدى عز عليه النصـير
قـد كنت ما بين الورى كعبـــة
يأمن فيهـا الخائف المســـتجير
وروضـــة تنفـــح أزهارهـــا
والجود من كفيك فيها غـــدير
بشـراك ان بـــدلت دار العنـا
بعترة الهادي البشـير النـــذير
وبت عنـــــد المرتضـى انسا
بجنـــــة الخلد وملك كبـــير
جـاورت مثواه لـــذا ارخوا
يثوى امـــير في جوار امـــير

١٣٥٩ هـ

وجوار ذلك ، لوحة يؤرخ بها العلامة المرحوم رضا الهندي ايضا عام شهادة المرحوم السيد حسن نجل المرحوم السيد ابي الحسن الاصفهاني :

حييت وانت في الدنيا ســـعيد
ومت وانت مظلـوم شـــهيدٌ
وما ضـــــر من في الله يفنـى
ويبقى بعـــده الذكر الحميـــد

قضيت العمر في عمل وعلـــــــم
ولم تبرح تفيـــد وتســـــتفيد
وفي ســـــن الصبا لازمت هديا
شـــــيوخ الفضل عنه لا تزيـــد
فلو عاش النـــــدى لبكاك حزنا
ولكنني اراه هو الفقـــــــــيد
ولو مثل الهدى لغـــدا يحلـــى
ثراك لدمعـــــه عقـــد فريـــد
اعيـــذ لجـــين جسمك أن اراه
نضارا حين يقطعـــه الحـــديد
اعيذ جمال وجهك وهو بـــــدر
منـــير ان يغيّبـــه الصـــعيد
اعيـــذ بني نزار وهـــم ملـــوك ا
لبرايا ان تجـــد لها العبيـــد
اهون نـــكبتي ان ليس بينـــي
وبين منيتي أمـــــد" بعيـــد
وانك طبت في الفردوس عيشـــا
وحاق بخصمك الخزي الشـــديد
بكى عام الفراق القلب شـــــجوا
وارخـــه « مضى الحسن الشهيد »

ودخلت حجرة اخرى من حجرات الصحن الطاهر فيها قبر سردار أعظم ووالدته بنت ناصر دين شاه قاجاري ، احد ملوك ايران ، قد نحت على صخرة قبره تمثال لشخصه ، ثم الى الاسفل من هذا التمثال كتبت قطعة شعرية باللغة الفارسية ، ووضعت على تلك الصخرة الفاخرة ، القناديل . اما الحجرة عموما فقد فرشت بالسجاد ، وعين لادارتها شيخ واهن الجسم ، يلازمها على الدوام

* * *

وحجرة اخرى الى جهة اليمين بالنسبة للداخل الى الصحن من باب القبلة المنتهي بشارع الرسول ، ضمت اجساد قسم من الصلحاء منهم :

اقاي حاجي اقا كمال الدين اصفهاني ، المتوفى سنة ١٣٥٢هـ

السيد حسن الموسوي الخلخالي ـ رحمه الله ـ

اقاي السيد محمد خلخالي ـ رحمه الله ـ

السيد موسى الجصاني ، المتوفى ١٣٦٠ هـ

السيد عبدالصمد الشوشتري الجزائري المتوفى سنة ١٣٣٧هـ

السيد ابراهيم الجصاني ـ رحمه الله ـ .

وعلى جدران الحجرة علقت صور من ذكرت ، وعلقت كذلك قطعة شعرية تؤرخ وفاة السيد موسى الجصاني وتذكر ماله من جلائل الاعمال والصفات التي عرفها الخاص والعام ، تغمده الله

برحمته واسكنه فسيح جناته ، قيل في ذلك تأريخان ، هما :

التأريخ الاول :

يا للاسى والحزن من كارثة
عمت بني الايمان بالخطب الجلل
حتى مضى موسى وظل قومه
في خيبة الرجاء وضيعة الامل
بالبر والتقوى قضى العمر وكم
قد ايد الدين بعلم وعمل
ومذ دعاه ربه ارخ [ وقل
طوبى له قضى موسى الاجل ]

التأريخ الثاني :

الا ان ايات موسى التي
بها اودع الله امثاله
تنوح وتبكي على فقده
يشجو وينـدب افعاله
ما راح مذ راح الا لكي
يوفيه الله اعماله
ولما دعاه لميقاته
فأرخ [ به اختار موسى له ]

١٣٦٠ هـ

وفي الحجر الاولى ، ألتي على يسار الخارج من باب الطوسي يرقد عدد من العلماء الاعلام ، قد علقت صور اكثرهم على جدرانها المزدانة بأدب الرثاء الفارسي والعربي ، المدون على صخر مرمر جميل ، وممن دفن فيها :

ـ العلامة السيد أبو القاسم ـ الموسوي الاصفهاني

ـ العلامة الشيخ محمد علي قسام توفي سنة ١٣٧٣ هـ

ـ العلامة السيد محمد اليزدي الفيروز بادي توفي سنة ١٣٥٤ هـ

ـ العلامة السيد هاشم السيد حسين الحسيني توفي سنة ١٣٧٠ هـ

ـ العلامة الشيخ مرزا علي محمد الشريف الاصفهاني المتوفى سنة ١٣٧٦ هـ

ـ العلامة السيد على الحسيني الشاهروردي

ـ العلامة المرحوم السيد محمد رضا شيرازي .

ـ العلامة محمد باقر القمي المتوفى سنة ١٣٣٤ هـ

ـ المرحوم آقاي بهادر السلطان بهبهاني المتوفى سنة ١٣١٩هـ

العلامة الشيخ كاظم علي بيك

ـ العلامة الشيخ موسى قسام المتوفى سنة ١٣٧٥ هـ

والى الاسفل من صورة العلامة المفضال الشيخ كاظم علي

بيك دونت هذه الابيات المفصحة عن مكانته وفضله :

يا مثال الفضل ما زلـ ـنا بذكراك مخلد
غبت عنا فتوارى من سما العلياء فرقد
وسما قبرك تبني جوهر الفضل المجرد
بشذى مثواه ارخ « طاب للكاظم مرقد »

اما ما دون تحت صورة العالم الفاضل الشيخ موسى قسام رحمه الله فهو :

اعجب لموسى ففي تمثاله العجب
لما بدا بارزا بالمنظر الحسن
عصاه تبطل سحر الساحرين وذا
تمثاله بديع الحسن اسحرني

وفوق مرقد العلامة محمد باقر القمي رحمه الله ، صخرة نحتت عليها هذه الابيات المجلية عن مقامه السامي ومكانته الرفيعة:

ثوى في الثرى روضة الناظر
وقد غاض بحر الندى الزاخر
فذا باقر العلم مهدى الورى
امام الهدى العلم الظاهر
قضى طيبا طاهرا برده
وقد ضاع منه شذا عاطر

وخـــير مقـام به قـــد ثوى
فمن دونه الفلك الـــــدائر
مقـــام نود ذكا انهـــــــا
ثوت فيـــــه والقمر الزاهـــر
وحـــين مضـى واحدا أرخوا
الى الخلد صـــدقا سما الباقر
سنة ١٣٣٤ هـ

* * *

وعند بدء دخول السوباط [1] من الصحن الظاهر من الجهة الشمالية الغربية تشاهد حجرة ، قال لي المشرف عليها انها مقبرة « قاجاري » وتبين لي ان الذي يرقد فيها هو حاج محمد حسن خان صدري جلال السلطنة .

* * *

كما يلاحظ في بداية السوباط من تلك الجهـة على جانب اليسار حجرة صغيرة ، هي مقبرة السيد محمد علي القزوينـي رحمه الله ، فيها لوحة معلقة على الجدار دونت فيها ابيات الرثاء التالية :

ام البنـــين دهرها اكرم بهـا
عن طاعـة الرحمن انأ ما ونـت

(١) الجانب الغربي المسقوف من الصحن الشريف

شـــــــاكرة لانعـــم الله ومن
عظائم الارزاء طرا ما شـــكت
حتى اذا ما غاب عنها واحـــد
الدهر احتسابا فيه تأريخا قضت
سنة ١٣٥٦ هـ

وفي وسط السوباط تقريبا دخلت الى حجرة يرقد فيها العلامة السيد محمود الطباطبائي الحكيم المتوفى سنة ١٣٧٥ هـ ، كتبت الى الاسفل من صورته الابيات البليغة الرائعة المؤشرة الى جلائل فضائله ومؤرخه عام وفاته رحمه الله ، هي :

دوى القضاء وجلجل الحدث الذي
فيه تناثر عقـــدها المنضـــود
من جـــوهر الالطاف صيـــغ فأرخوا
تمثال قدس قائم" محمـــــود

ويرقد بنفس الحجرة المرحوم السيد كاظم السيد حســين الطباطبائي المتوفى سنة ١٣٨٢ هـ ، والشيخ خضر الدجيلي المتوفى سنة ١٣٨٣ هـ . وقد رثى المرحوم الـدجيلي بأبيات دونت الى الاسفل من صورته ، تؤرخ عام وفاته ، هي :

نعى التقى والعلـم ناعي الردى
لغـــــدر دهرٍ غـير مأمونِ

اثـكل اهل العلـم والـدين مـــذ
احـــرق اكبـــاد الملايـــين
الخضـــر حـــي لم يمت ذكره
لكن مضـــى للخلد والعـــين
فيا لشهر الصـــوم أرخ بـــه
« قضـــى فقيـــد العلم والدين »

* * *

وفي الحجرة الواقعة ما بين مدخل السوباط ، وباب الصحن المؤدية الى سوق العسارة ، يرقد العلامة الشيخ ضياء الدين العراقي طاب ثراه المتوفى سنة ١٣٦١ هـ وعند قبره دونت على الجـدار ابيات شعرية ترثيه وتفصح عن مآثره ، هي :

مـــا مات من آثاره بعـــــده
بين الورى باقيـــــة الاســـم
لما ســـــروا بنعشـــــه والهـــدى
ظلت اســـى عيونـــه تـــدمي
بلوعـــةٍ ارختـــــه قـــد دجى
بعـــد ضياء افق العلـــــــم

وعلى واجهة قبر بنته المرحومة زينب المدفونة بنفس الحجرة التي يرقد فيها ابوها ضياء ، كتبت ابيات الرثاء المفجعة المؤرخة

لعام وفاتها رحمها الله :

يبكي الهدى لزينة مالها
من ثمن فالله اغلاها
ونبعةٍ من دوحة زكت
صفى بها الدهر فواراها
وفي حمى حامي الحمى الحدث
ترجو غدا ينقذها طه
ام الرضا بنت الهدى تحفة
ما مثلها والفضل اغلاها
يا سائلاً عن قبرها باحثاً
أرخت عد فالخلد مثواها

وفي نفس الحجرة ايضا يرقد المرحوم سعد الحاج عباس دوش المتوفى سنة ١٣٨٠ هـ ، وعلى الجدار بالقرب من ضريحه نعته هذه الابيات وارخت عام وفاته : ـ

يا قبر واروا في الثرا ابا الرضا
من اثكل الاصحاب والاحبابا
ان المكارم فيك حجّب بدرها
ارخ وعنها سعدها قد غابا

وليس من غرضي ان استقصي جميع ما كتب على واجهات

المقابر في حجرات الصحن ، وما تسنى لي ان اقدمه انما هو مثال لهذا النوع من ادب الرثاء الذي يملأ الحجرات .

## اجساد العلماء هل تبلى ؟!

ولوج مثل هذا الحديث ينبغي له التؤدة والتمهل والتأكد ، فان هناك بين ظهراني النجفيين معنى ما انا في بدايته اتحدث ، شائع ومنتشر ، يدعوك لان تتأرجح بفكرك ، والذي يتأرجح بفكره لا يهدأ له بال ، حتى يجد لما هو فيه نهاية حاسمة تنقذه من الارجوحة العاتية بفكره وراحته : فأنا كنت اسأل علني اجد لسؤالي جوابا عند الناس او في طيات الكتب حديثها والقديم . ففي المصدر الثاني الذي ذكرت لم اجد سوى فصلٍ في كشكول البحراني يذكر فيه عن احد اصحاب الحسين عليه السلام وانصاره الذي استشهد يوم كان يذود عن اهداف ابي عبدالله الثورية السامية ، يوم هب بوجه الطغيان الجاحف ، والنكران المارق ، والفساد الجارف ، اقرأ ما ذكر ، ثم اصمت قليلا متحدثا لنفسك عما قرأت:

« انه حدثني جماعة من الثقاة ان شاه اسماعيل لما ملك بغداد اتى الى مشهد الحسين عليه السلام ، وسمع من بعض الناس الطعن على الحر ، اتى الى قبره وامر بنبشه ، فنبشوه فرأوه نائما كهيئته

لما قتل ورأى على رأسه عصابة مشدودة فأراد الشاه اخـذ تلك العصابة كما نقل في كتب السير والتواريخ ان تلك العصابة هي دسمال الحسين عليه‌السلام شد بها رأس الحر لما اصيب في تلك الواقعة ودفن على تلك الهيئة ، فلما حلوا تلك العصابة جرى الدم وكلما ارادوا ان يعالجوا قطع الدم بغير تلك العصابة لم يمكنهـم فتبين لهم حسن حاله ، فأمر فبنى على قبره بناء وعين له خادما يخدم قبره » (١) .

وليس ببعيد ان يحدث مثل هذا لرجل اذوى روحه وصير كيانه لخدمة الدين مستشهدا في سبيل الحق والانسانية فجسمـه الذي دفع به بين الشفرات القاطعة متصديا للضربات صائحا ومعنى ما يقول البقاء والدوام لاهداف الحق ، اهداف الانسانية المتسامية اهداف الحسين عليه‌السلام ، ولتهوى اجسامنا مخضبة ، ولتبقى راية الثورة الحسينية عالية تخفق في سماء الاسلام، ذاد هذا الرجل عن حياض الدين ، وكتب له التأريخ نصره وجهاده ، افليس من الحق ان يبقى الجسم الذي طعن في سبيل الحق ومن اجله مصانا لا يشوبه تلف ولا يعتريه بلاء؟! وفي ذلك معجزة لا تثمن والمعجزة خارقة من الخوارق لكل ناموس من نواميس الطبيعة ، او هي فوق

(١) من كشكول البحراني جـ١ ص ٣٤٤ ، نقلا من كتاب الانوار النعمانية .

المستحيل ، وللأنبياء والأئمة معاجز نقرها ونصدقها ، اذا فما معنى صيرورة عصا موسى افعى تلقف ما يأفكون؟. اقول لتكون مصداق دعوته ، فيؤمن بها الناس وما معنى نزول الوحي على رجـل من جزيرة العرب صادق امين ليبلغه رسالة الاسلام ، فيهدي ويرشد بها الانام ، ولينتشل البشرية مما وصلت اليه من تخاذل وانحطاط وانحراف وكا نت خارقة القرآن مداها لا تبلغه العقول ، فهو لو اجتمع الانس والجان لما كان لهم ان يأتوا بمثل بعض منه ، وهو دستور البشرية ونبراس رخائها وسعادتها وروائها فهل من ملتفت؟!

وما معنى انتظار ملايين الشيعة في العالم اليوم لعودة الحجة المنتظر ليملأ الدنيا عدلا وقسطا وسلاما ، ذلك سـاعة آن تكون البشرية على جرف هار ، او على ابواب غاية الفساد والدمار ، وما معنى غير ذلك من المعاجز الخارقات الكثيرة ؟!

فان كنا وقفنا على صحة بعض منها ، كان لنا سـبيل ذو فسحة ينطلق فيه الفكر ليفضي الى واقع بقية المعاجز ، ان دعمتها الادلة المنطقية المعقولة المقبولة .. فالمعجزة وان تأتي لتدعم دعوة فانها تحتاج الى برهان يوقف الشاك على حقيقتها وصحة امرها .

ان الادلة في بقاء اجساد قسم من العلماء بعد موتهم سالمة لا يدنو اليها تلف ولا يشوبها دمار وبلاء ، قليلة ، هي تحدث الناس ليس الا ، فنفر قليل جدا شاهد ، وجمع غفير سمع وحدث ، وكان

الحديث في حينه ضجة خف وطيسها على مر الاجيال .

تحدث نفر وقال : نحن رممنا جانبا من الصحن وفيه خلط من أجساد الناس جاهلهم وعالمهم ، وما ان فتحنا بعض تلك الاجداث قصد تعمير ابصرنا اجسادا عامرة دونها رميم، والعامرة كأنها قد فارقتها الروح في الامس الذي قبل يومك ، تحفها هالة من القدسية والايمان ، فنادينا من الناس افرادا على مقربة ليبصروا ويكونوا شاهد عيان .

وتحدث الناس عما وجد حين صلح جامع الطوسي الذي ثوى في جانب منه الشيخ الطوسي رحمه الله ، وما ان وصل الترميم الى قبر العلامة السيد مهدي بحر العلوم ، وكشفوا القبر ، وجدوا جسد العلامة بحر العلوم خادم الشريعة ، الصائن لسانه من الثلب والحافظ قلبه من الضغينة ، والعازف بفكره عن رذائل الافكار ، عامرا سالما . فقد ابى الخراب ان يمس القلب العامر بالايمان والصلاح ، وابى الدمار ان ينهش العين التي لم تر سوى الحسن وابى الفساد ان يفت في اليد التي عملت الخير ، وعزف الهدم والدمار عن ساقيه اللذين سعيا لخدمة الانسانية والاسلام ، اجل لقد وجدوا الجسم الطاهر عامرا تلفه هالة من القدسية والجلال .

# عودة الى المقبرة

عدت اليها ، وكنت قد بلغت هذا المبلغ من الكتاب ، اتجدني قد ضاق مني الصدر ، لطول امل في الحياة لا يقنع بقليله الانسان!! أو تجدني بحاجة الى عظة وارشاد اكثر ، وعبرة اوفر !

نعم ، عدت اليها لاتزود من عظاتها النجسة ، ما دمت واعي الفكر متبصرا في الحياة عارفا بشأنها ، وما دمت قد استفدت الفائدة الجلى حين زرتها زيارتي الاولى لانجاح فكرة رغبت في ادائها هي بين يديك .

الا ، انها خير واعظ وابلغ مرشد ، فقد عزمت على زيارتها مرات لاطيل الرنو الى اطلالها ، ودوارسها الباليات ، ولاتبصر فيما يجري خلالها من عمل فاصقل نفسي ، واطهر قلبي من ادران اخاف سطوتها على الكيان ، فتفسد مني الروح .

عدت اليها لاستمد منها قوة ارجم بها نفسي على انتزاع الضغينة والبغضاء المهلكة حين اجد لها في قلبي بوادر ، فما اسمى الانسانية ان تعيش ، ما كتب لها الله ان تعيش ، وليس فيها بعض صفات الهمجية .

عدت اليها لاجلو النفس وازكي القلب ولادون ما شذ

عن الذهن وما شرد عن الخاطر ، وها انذا اكتب ما شاهدت بهذه الجولة الثانية :

## ـ مشاهدات ... ـ

* ـ كان اول ما لاحظت هو الاهتمام بالقبور وتحسينها من تصميم بناء الى زخرفة وتلوين ، ووجدت نفراً ينتشل الدارس من القبور بترميم . ففكرت ، انه لو كانت المقبرة مسورة تسويرا جيدا ، ومنسقة تنسيقا منتظما ، وتشرف على ادارتها لجنة من الحكومة تحرسها وتحسن من حالها ، لكانت المقبرة تحفة اثرية خالدة .

* ـ وبينما انا اتجول في ارجائها ، وجدت نفسي واقفا في مقبرة الفرس تأخذ رونقا منفردا من حيث بناء القبور واعداد الصخور الموضوعة على واجهاتها .

* ـ وهذه مشاهدة أخرى اعقبها تفكير في حالة كون المقبرة بوتقة تجمع اجناسا متباينة من البشر فيها ثوى من هنود وباكستانيين وصينيين وفرس واتراك واكراد وعرب ، جمع غفير .

* ـ وفي طرف قصي من وادي السلام ترى قبور بيضاء ناصعة انفردت عن غيرها من القبور ، هي للاكراد الذي يجددونها في رأس كل عام ( عيد النوروز ) .

* ـ وشاهدت الناس في حركة دائبة في وادي السلام ، هذا يحفر ، وهذا ينقل ، وهذا يقرأ وهذا يرشد ، وهذا يبني وهذا

يغسل ويكفن .. فقلت وكأني مخاطبهم : لكم من الموت حياة .

* اتريد قبرا سألني احد الرجال ، وهو حسبما تدل عليه سيماؤه رجل بسيط مكدود ، واهن الجسم شاحب الوجه قلت له الله يايستر ياخي، أناشاب ،هل لي معك سابق ذنب حتى استميحك العذر ! قال : لا ، وهو يبتسم ، انما الذي اريده ، هل انك تبحث على قبر لاخصائك فارشدك اليه ،قلت :لا، وسألته ان كان يعمل في المقبرة من مدة طويلة ، قال لي : انا من الريف ولا اريد ان اسرد عليك سبب هجره ، ولكني اخبرك ،وارجوك ان لاتشك بعد ان اطلعك على حالتي بأني استجديك شيئا ، اخبرك بأني كنت ولا ازال اعيش في ضيق وشظف من العيش ، وما ان وجدت انه لا ينفع مع هذه الفاقة تقتير ، اندفعت بلهفة لاتقاس ،الهث باحثا على العمل كالراكض في آخر الشوط ،وفي كل محاولاتي ارجع لا الوي على شيء ، سعيت ابحث عن عمل اكسب منه فأسد رمقي واقوم به أود اطفالي الذين لا اجرع المكوث قربهم ، نعم ، كيف استطيع ذلك وولولتهم تذهب بصبري ، وتقل من عزيمتي، وكلما دنوت منهم تركتهم ساعيا سعيا حثيثا علّي اجد عملا أملأ من خيره جوفي وجوف اطفالي فوصلت الى حالٍ جعلني كما تراني احمل فرشاة وعلبة صبغ، اصبغ به واجهات القبور واحصل على أجر ممن يطلب ذلك فصرت استطيع ايجاد القوت بالكاد .. ولـكن يا عزيزي

تعسا لعائلتي يوم يقذفني المرض في الفراش فمتى كان ذلك باتت عائلتي يفت في صبرها الجوع .

* — واشرفت بتجوالي على النهاية الغربية من المقبرة ولاحظت ان شارعا يتصل بشارع السور وينتهي بالمغتسل الغربي ثم يتركه حتى ينتهي بسور المقبرة الشمالي .

* — ووصلت الى النهاية الغربية من المقبرة فوجدتها دون سور عكس الجهات الاخرى ، والمقبرة من هذا الجانب تتصل مباشرة « بالطار » أو الحافة التي دونها منخفض واسع يتصل بطرف الصحراء الغربية من العراق . ويشاهد من فوق هذه الحافة بحيرة النجف وجدولها الذي تحفه المزارع النظرة المثمرة . وكثيرا ما يبهجك جمال تنسيق تلك اللوحة الرائعة التي خطتها يد الله ، وعلى مقربة من الشريط الاخضر الممتد هذا ، بحيرة كالمرآة المجلوة تعكس نور الشمس الجانحة الى المغيب ، وانتهت الي وانا اشرف من الوادي على تلك الارجاء نسمات عليلة ملأت صدري ،وأبهجت نفسي ، وهللت اساريري ، وكان لي ان اتنفس الصعداء بعد ان اصابني اثر تجوالي في ارجاء الوادي بعض اعياء .

واستدرت شطر المدينة ، التي لم اسمع من ساكنيها سوى جلبةٍ وصخب هو اثر صراعهم مع الحياة في سبيل افضلها ،وخلال

ذلك الصراع والاحتدام شاهدت افرادا من ساكنيها يقذفون بين الفينة والفينة صوب الوادي ليستقروا فيه .

وما ان اشحت بوجهي الى الغرب عن المدينة الصاخبة بساكنيها وعن الوادي الخامد الجامد بأهله ، حتى بهرني رونق بساتين الجدول ، تلك اللوحة الرائعة الفاتنة التي أسلفنا الحديث عنها وقلت وانا ازفر زفرة تلو زفرة ، لله حكمة ما اجلها في خلقه .

# المداخل الرئيسة الى الوادي

المقبرة تلاصق محيط المدينة الشمالي على العموم ، غير ان خط اتصالها بالمدينة يبدأ من شمال غرب الى شرق ولهذا كان مجال الاتصال طويلا ولانه لابد من مداخل كثيرة تفضي الى الوادي فقد تعددت المداخل اليه من المدينة • فهناك مدخل يقع في الطرف الشرقي وهو أقدم المداخل تمرق منه السيارات لتنتهي بالمغتسل الشرقي • ومدخل اخر يمكن ان اسميه لموقعه بالمدخل الوسطاني أو الباب الوسطاني ، وهو موضع اتصال نهاية شارع الطوسي ببداية الشارع الملتوي المنصف للمقبرة • والمدخل المهم الاخير هو المدخل الغربي المنتهي بالمغتسل الواقع في الزاوية الجنوبية الغربية من المقبرة ، وهناك منافذ اخرى قليلة ضيقة مؤدية الى المقبرة أيضا •

# الشارع الملتوي وأثره في ظهور بنايات حديثة على القبور

ان في منتصف المقبرة شارعا يصل بين المدينة والبر ، وكان في السابق يعد المنفذ الرئيس للاتصال بكربلاء ( مدينة الحسين والعباس عليهما السلام المقدسة العامرة ) وكان الاهتمام في تعديله واصلاحه جاريا ، الا ان الطريق الحديث المبلط الذي غدا اليوم المنفذ الرئيس للاتصال بكربلاء ، وجه الانظار اليه فقلت اهمية الشارع القديم المار من منتصف المقبرة تقريبا والشارع الملتوي هذا تتصل بدايته بنهاية شارع الطوسي المؤدي الى مرقد الامام علي عليه السلام . وبسبب كون هذا الشارع فسحة بين القبور المتزاحمة ، وبسبب موقعه قريبا من مقام القائم بالحق الحجة المنتظر عليه السلام ، اضحى طريقا للمارة من زوار ومشتغلين ، ومشيعي ميت حتى لحده وممشى للذين خرجوا لشم نسيم الوادي ، وسبيلا للذين ارادوا ان يبصروا بتأملهم عهد قوم اشغلوا الدنيا مثلهم ، اين هم ؟! والطريق هذا الذي نحن نصفه غدا كذلك ملتقى للذين انتهوا من سيرهم بين المقابر ، أي للذين انهوا زيارتهم للمكان الذي كانوا يبتغون .

ويعرف من هذا سبب ميل الناس الى بناء البنايات العالية

التي هي اليوم اشبه بالدور منها بالقبور والذي يتلخص بمحاولة الناس حفظ قبور موتاهم ،من دوس المارة حين يحصل منهم في الشارع ازدحام . واثر ذلك شيدت البنايات على طول الشارع الملتوي ، والى جوار قبر البغدادي [١] حتى مقام المهدي ( ع ) .

ولما كان قبر البغدادي ذا شكل منفرد في نوعه بالنسبة الى قبور وادي السلام ، فقد اصبح للمتجولين في مجال المقبرة كالواحة وسط الصحراء لرعاة الجمال . وللسبب عينه كثر ذهاب الناس اليه وايابهم منه ، فأوشكت القبور الواقعة عند الطريق المؤدية اليه لذلك ، على الانهيار والخراب . وما كان من المشرفين عليها الا وقد سارعوا في تشييد بنايات عالية عليها .

ان كثرة البنايات العالية واتخاذها كطراز جديد لتشييد القبور على المظهر الذي شهدناه ، امر محذور غير صحيح ، لان المقبرة سوف تغدو غير مكشوفة ولما يصل اليها نور الشمس طول

(١) وهو طبيب شاب وافاه الاجل فانتقل بجوار ربه ، فكان لوفاته وقع كبير على والده ، فبنى لمرقده بناية كبيرة تعلوها قبة موشاة بالكاشي المزدهي بالنقوش المنوعة الملونة الجميلة والى جانب القبة منارة عالية . ويحيط البناية سياج بينه وبينها حديقة مزدهرة بانواع الشجر ، وسمى قبره ( بروضة الوادي ) وهي تدار بواسطة خدم يرعونها ويديرون شؤونها .

النهار ، هذا ويضاف الى ان المجالات بين البنايات تصبح دون ريب كالضيق من ازقة المدينة ، كما ان المشتغل في المقبرة والمتجول فيها ، لا يسمع ولا يرى ما يحدث ، حتى ولو في جانب قريب منه عكس ما لو ظلت على حالتها مكشوفة ، والامر الذي نراه ممكن ان كف الناس عن البناء .

# المشتغلون فى المقبرة

ان المشتغلين في المقبرة نفر كبير قد تخصص كل قسم منهم لاداء بعض من اعمال أعداد لوازم الميت وتهيئته للدفن ، وهي حسبما يلي : الوكلاء ، ومانحو الاجازه ، ومستقبلو الجنازة ، والمشيعون ، والحمالو ن ، والمزورون ، والدفانون ، والبناؤون، والنحاتون ، والملقنون ، والمغسلون ، وسنحاول تناول الحديث عن كل قسم منهم وباختصار :

## أ ـ الوكلاء :

وهم اقلة بين المشتغلين ، والظاهر انهم توارثوا العمـل من بعضهم الى البعض الاخر . وليس فى عملهم اية كلفة ولا حرج ، انما هو مجرد أشارة للدفان الذي جاء دوره وتعيين المكان الذي يجب ان يدفن فيه . لان كل عشيرة او جماعة من الناس رسمت لها مكانا خاصا بدفن افرادها ، وكأن نزعة التكتل عندهم تريـد البقاء حتى ولو بعد الموت .

وان للوكلاء مكانا او مقرا خاصا ، هو المقهى مثلا ليكونوا فيه دائما عند الطلب .ولهم حق الاشراف على الدفانين والبنائين، وخصم اجورهم المعينة التي كانوا قدتسلموها من الجناز الذي جاء

بجنازته ليدفنها في النجف .

## ب ـ مانحو الاجازة :

اما مانحو الاجازة ، فهم اما شخص واحد أو اثنان او ثلاثة يؤدون عملهم بالمناوبة عادة .

وثمة امر حري بالذكر هو ان الجنازه لا تدفن ابدا دون ( باص ) تلك الورقة التي تمنحها المستشفى كأجازة بالدفن للوكلاء الملزمين بأدائه او بالاشراف عليه .

ويشرف على اداء هذه الخدمة الانسانية النبيلة موظفون معينون كرسوا جل وقتهم لذلك .

ان مهمة منح الاجازة مستمرة طول اليوم ، وللمانح مقره الخاص المعين المعلوم ،لايحيد عنه ، كل ذلك لاجل الحرص على الاسراع بالدفن باقصر وقت ، وفي ذلك دون ادنى شك تخفيف للمشقة التي تعتري الزائر ، او كما نسميه بالعامية « الزائوت » جراء رعاية ايصال الجنازة الى مرقدها الاخير في وادي السلام .

ومنح الاجازة ضرورة ، بدونها تتأخر الجنازة عن الدفن ساعات او يوما . ولهذه الضرورة اعتبار اخر ومهم يتجلى بهذه القصة التي اسردها لك وقد نسجتها مجريات ايام خلت ، بلغتني فصولها حين زرت الوادي زيارتي الثانية ، ألا تتذكر ؟ ؟ .

وما ان بلغت جانبا من جوبي المقبرة حتى انتهيت بجمهرة من الناس،اطفال ورجال ونساء ،وفي طرف ليس بالقصي سيارتان احداهما للشرطة والاخرى للاسعاف الطبي • ما الخبر ، سألت رجلا يبدو عليه الامتعاض • قال : انها مهزلة من تمشدق بالانسانية وهو ليس من بني الانسان • او حسبما تحب انها مهزلة المجتمع الذي ينجب أبنته ويحنو عليها اولا الى ان تترعرع ، فيهصرها ويعصرها ويحقق ضالته منها ، فيقذفها في حيز الاهمال او يرديها قتيلة • انها يا ولدي محاولة اخراج جثة امرأة من قبرها بعد ان مضى على دفنها اكثر من عام ، وفهمت من وشوشة الناس ولغطهم انها دفنت دون اجازة ، والذي جعل المسئولين يهتدون اليها هو ما توصل اليه حاكم التحقيق بتمحيصه قضية عرضت عليه فقد اهتدى الى جريمة قتل اعترف اثر وقوفه على ذلك،الجاني •واصرت المحكمة اليوم على اخراج الجثة بأشراف لجنة طبية كما ترى للتأكد بالفحص ماإذا كانت المقتولة قد أصيبت بطلق ناري ومكان الاصابة ان امكن ذلك • هكذا حدثني الرجل وانصرف وانصرفت ، وليس من المهم ان استقصي النتيجة النهائية لهذه الحادثة وامر دفنها بأجازة ام لا •

فالاجازة ضرورية ، وان الوكلاء جميعا ملزمون بشرطها ،وان حصلت حالة شاذة من دفان او وكيل فمرد ذلك الى التمادي وعدم

التقيد في التزام النزاهة كضرورة ، وبنوع خاص في هذا العمل .

والاجازات الممنوحة مؤرخة ومرقمة ، لها صورها في سجلات المستشفى التي يمكن منها الوقوف على عدد الجنائز الواردة من الخارج ومن الداخل . وما امكن الدولة من معرفة عدد ما اصاب ساكنيها من زيادة ان كان تسجيل الوفيات بأضبط صورة وتسجيل المواليد على احسن وجه لان معرفة الزيادة تتم بأيجاد الفرق بين الوفيات والمواليد ، فاذا كان عدد المواليد ارفع من عدد الوفيات كان ذلك اشارة الى تقدم البلاد الاجتماعي والاقتصادي والصحي والعكس هو الصحيح .

## د ـ مستقبلو الجنازة :

ما ان تدخل الجنازة الى النجف الاشرف حتى يستقبلها وهي على ظهر السيارة افراد قلائل ركضا على الاقدام او على الدراجات الهوائية ،وغايتهم من استقبالها ،المبادرة بالسؤال عليها ، والى أي وكيل تعود ؟! لان لكل جماعة فى داخل العراق وخارجه وكيل دفن معين يتعاملون معه ومع ابنائه من بعده ، « والله يرزق من يشاء بغير حساب » وان شئت قل: مصائب قوم عند قوم فوائد .

وربما ان هذه المعاملة متأتية ، بمحض تقسيم خطط له الوكلاء انفسهم لاجل دفع ما قد يحصل بينهم من منافسة ومشاكسة .

وهكذا يحمل المستقبل الخبر بسرعة البرق ، مبشـــرا به الوكيل ، حاثه على الاستعداد ، فان فلان بن فلان من العشـيرة الفلانية من منطقة كذا قد مات ووصل الى النجف وهو من حصته فيكسب المستقبل المبشر ما يستحقه مقابل اخباره بشارة حددها الوكلاء بـ ١٠٠ فلسا . وفي اغلب الاحايين يسعى المستقبل المبشر الى مراجعة المستشفى للحصول على اجازة بالدفن ، وله من الوكيل ثمن ما سعى .

وفي حيز التقدير والتخمين يمكنني القول ان هناك خمسين شخصاً لعشرين عائلة في النجف ، من بعض مما تعتمد عليه من أعمال في مجرى حياتها ، هذا الذي ذكرنا .

## د ـ المشيعون والتشييع :

أردت بالمشيعين الذين يتلون صائحين أمام الجنازة السائرة الى حيث أرادلها الله،في موكبها الذي يزيده صياحهم رهبة وجلالا فالمشيع يعلن بصوته الجهوري ، ربما دون أن يفقه ما يعني ، هذي الحياة وهذه نهايتها ، فزودوا أيها الناس أنفسكم بالتقوى ، لأن خير الزاد التقوى ، واتبعوا نظام رسالة الاسلام ، رسالة الله في

أرضه ، هكذا فهمت من صياحه حين اصخيت السمع اليه وهو يردد بصوت يمزق السكون ان كان سكون ويعلو الضجة ان كانت ضجة « لا إله إلا الله ، كل نفس ذائقة الموت ، لا اله الا الله ، وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » .

وهؤلاء هم قلة كانوا يسمون « بجل الله » لأن هذا اللفظ « جل جلال الله » كثير التردد على لسانهم ، وقد اتخذوا هذا العمل مهنة لكسب بعض الدريهمات التي ما أوفرها ان اعالتهم بحر نهار .

كان ما تقدم في خصوص المنادي ، اما الآن فمن الطريف ان أتكلم عن طبيعة التشييع والمشيعين من الصنف الآخر أو الذي يسير خلف الجنازة صامتاً ، وطبيعة آدابه وأحكامه ، ان التشييع عندنا ينطلق بموكبه المهيب من مراكز معلومة معروفة وأخصها المسجد الحيدري ، وان أول ما يجريه ذوو الفقيد هو فرش الأرض ليجلس عليها من جاء يواسيهم ، ومتى ما اجتمع الناس واحتشدوا يؤذن للمنادي فينطلق صوته إيذاناً بالنهوض والسير شطر الحرم الشريف ومنه صوب الوادي ، وللتشييع أحكام وآداب حددها الشرع وسأوضح ما استوجب منها وما استحب ، ويكفينا الذكر ما ذكره العلامة السيد مهدي بحر العلوم في أرجوزته الطريفة (١) :

(١) الدرة النجفية — للسيد مهدي بحر العلوم .

قد اكـد التشييع للجنـائز والأفضل المشي لغير العاجز
وليتجنب سـبقها المشـيع فأنهـا متبوعـة لا تتبـع
والفضـل في ذلك للتأخـير ثم اصطحاب جنبي السرير
وليحمل السرير من أطرافه أربعـة تقوم في أكنـافه
لايأب من ذلك أهل الشرف فليس أمر الله بالمستنكف
وليس للتشييع حـد يعتمد وفى حديث سير ميلين ورد
وسنّ أن لا يرجـع المشيع يصبر حتى الدفن ثم يرجع
وتركه القعود حتى يلحـدا ان هيـأ القبر وإلا قعـدا
والحمل في النعش مغشى بكسا يندب اما مطلقاً أو للنسا
كـذاك ان تتبـع بالمجامر والنار إلا في الظلام العاكر
وسُن للحامل والرائي الدعا وقـلة الكلام ممن شيّعا
والامتياز للمصاب باحتفـا أو نحوه عن غيره كي يعرفا
لا ينبغي لغيره طـرح الردا فالمنع منـه قد أتى مشددا
كذاك قول ارفقوا واستغفروا يغفـر لـكم فأنـه محقر
والضحك مكروه وليس عندنا قيام من مرت عليه حسنا
وما على النساء تشييع ولو لامرأة أو عمها ما قد رووا

أما تشييع العلماء فيختلف بمظهره عن المواكب الاخرى، اذ يصنف المشيعون كل حسب طبقته ويرددون قولاً هو الحزن عينه ، وان جثمان العالِم أو الامام يحمل في نعش كبير تسير أمامه مواكب

لطم في أغلب الأحايين ، فمواكب تشييع العلماء في النجف مهيبة تثير الحزن حقاً ، وكأن أركان العالم الاسلامي يوم فقد امام فيها ، تزلزل صدقاً .

وان آخر موكب لتشييع عالم علم شاهدته ، وانا أدون هذا الكتاب ، هو موكب تشييع جثمان عميدنا الراحل محمد رضا المظفر تغمده الله برحمته ، فما ان لفّ الردى تلك الراية الخفاقة فوق سماء النجف ، قلعة الاسلام ، حتى اكتأب جوها وخرج الناس افواجاً تسبقها وتتلوها أفواج ، ليبكوا فقيدهم المجدد حامي العقيدة المظفر ، راجين الله خالقهم أن يقيض لهم حماة يخطون خطاه ويسلكون نهجه .

اما رجال الجيش فقد غدا للمهم منهم طراز من التشييع جديد . فقد حصل أخيراً ، وضع جثمان الشهيد العسكري على سيارة وهو ملفوف بعلم الدولة ، وأمام نعشه ثلة من الجند صفوا صفا جميلا متناسقا ، وموسيقاهم الحزينة تردد ، الا انها تنقطع عند وادي السلام . وما ان يشق لحده ويوارى في ثراه ، تطلق عدة اطلاقات توديعاً رسمياً نهائياً له ، وكأني بهم مبلغيه ، أن الحياة ستبقى بعدك صاخبة أيها العزيز ، هذا شأنها ، لا اطمئنان فيها ولا سلام .

## ولنا من الآلة الحدباء عظة

الآلة الحدباء هي النعش أو التابوت يحمل بها جثمان المتوفى وهي قد صممت تصميماً خاصاً يسهل وضع الميت ونقله ، فطرفاها الأول عريض للرأس والصدر ، والثاني ضيق للأطراف السفلى ، والتابوت من الخشب ، هذا هو المألوف ، ولكني شاهدت بعض الجنائز وصلت النجف وهي ملفوفة بالقصب بدلاً من تابوت الخشب ، هي جنائز القرويين على ما يظهر حيث يتوفر القصب ويندر الخشب .

قال الشاعر يذكر الآلة الحدباء ويعظ الناس :

كل ابن انثى وان طالت سلامته

يوماً على آلـة حدباء محمول

ما أبلغ تنبيهك أيها الشاعر ! وكل الناس يعلمون حتمية ذلك ولكن ليس دائماً ، بل كلما خطر لهم الأمر الذي أوضحت استغفروا الله وحمدوه . أوليست الحياة جديرة بأن تسبغ عليهم جمالها ، فيختالوا ويتبجحوا بحياتهم الرغيدة السعيدة بعد ذاك ، متناسين انقطاعها بانقطاعهم .

تالله كأني وفي هذه اللحظة أرى مظاهر الحياة بنوعيها المادي والمعنوي وما وراء ذلك ، أرى جمال السماء وكواكبها وعذوبة الماء والهواء ، وحسن الشجر والطير والنهر والسهل والبحر والجبل ، وحلاوة المأكل والملبس وكل مؤنس ، وروعة الايمان وجمال الدين

وحسن صلاح نظامه ، وحقيقة الموت وما وراءه ، مظاهر ليس لها ما تلهو به سوى فكر الانسان الذي تدفعه مرة لغروره وجحوده ومرة الى تقواه وايمانه ، وتارة الى خوفه وألمه ، مظاهر هيأت لها بذلك احالة الانسان الى مقر للتناقض مرة وللازدواج مرة وللوساوس والهواجس والتأمل مرات أخر .

## هـ ـ الحمالون :

والحمالون صنف من المشتغلين ، مهمتهم حمل الجنائز من المسجد الى اللحد . ويشاهد الحمال أحيانا يحمل ثلاث أو اربع جنائز مرة واحدة ، لكنه لايحمل هذا العدد من الجنائز الا من تلك المؤمنة التي أضحت بسبب دفنها الأول لمدةٍ ونقلها من مدفن الى آخر ، خفيفة الحمل .

## و ـ المزورون :

وهؤلاء هم نفر من السادة ، كرسوا حياتهم لخدمة الامام عليه السلام ، يتقدم أحدهم ما ان تدخل جنازة لتطوف حول المرقد الطاهر لتزويرها عند الباب الأولى أولاً ، ثم عند الباب

الثانية ثانياً ، وعند الضريح أخيراً ، ثم تحمل للطواف حول المرقد وعندها يحصل المزور على حقه من نقود جزاء ما تلى .

## ز ـ الدفانون :

وهؤلاء الذين يقومون بحفر اللحد وانزال الميت فيه لدفنه مقراً نهائياً له ولربما تصور القارىء مدى الصعوبة والرهبة التي قد تكتنف المرء وهو يؤدي عمله هذا ، والذي رأيته انه ليس من ذلك في عملهم الذي اعتادوه شيء ، انما شأنهم فى عملهم الخفة والمهارة ، التي قد اكتسبوها بالممارسة المستمرة .

## ح ـ البناؤون :

وهؤلاء يتولون مهمة تصميم البناء الذي يبقى شاخصاً فوق القبر ، وهم يتعهدون بنقل الجص والطابوق والماء الخاص بأداء هذه المهمة ، ويتسلمون أجورهم من الوكيل الذي بدوره يكون قد تسلم تلك التكاليف بمجموعها من الجناز أو أهل الفقيد . وقد يقوم البناؤون بمهمة بناء مقبرة كبيرة جداً عالية الأركان واسعة الفناء ، وربما كانت لها قبة ومنارة .

## ط ـ الملقنون :

وهؤلاء ، ما كان لهم من عمل غير الجلوس ، جوار من هيأ للّحد ، وتلاوة كلام خاص أشرنا اليه في بداية الكتاب • وان اكثر الملقنين الذين شاهدت ، قد عصفت من عمرهم سنون ، فوهن منهم العظم وركت الأعصاب ، وهم يخاطبون الميت ويسألونه عن حاله ، وحق لهم هذا السؤال ، هل هو على العهد الذي فارقهم فيه ؟! مذكريه بأئمته الكرام طالبين له المغفرة من الله والرضوان •

## ي ـ المغسلون :

والمغسلون صنفان ، نساء ورجال ، يعملان في بناية واحدة ، النساء لتغسيل النساء ، والرجال لتغسيل الرجال ، وعملهم يؤدونه طبقاً لنصوص الأحكام الواردة في تغسيل الميت وتكفينه •

## ك ـ النحاتون

وهؤلاء ينحتون الصخور التي توضع على واجهات القبور ، وقد أشرنا الى هذه المهمة في باب « الصخور الموضوعة على واجهات القبور فن رائع أبدعته أيدٍ نجفية » • فلا حاجة أن نعيد القول مرة أخرى •

# العوائل التي توارثت مهمة اعداد لوازم الموتى

المشتغلون في اعـداد لوازم الأموات الرئيسية يتعاونون صبيانا ورجالا ، وهم من عوائل أهم ما يقال عنها انها توارثت العمل خلفا عن سلف فاعتادوه . والعوائل النجفية المهتمة به قليلة جداً ، ولا حاجة للاشارة الى أسباب اقبال هذه العوائل وانصرافها لتأديته ان عرفنا انه مورد رزقها . وثمة شأن آخر حري بالاشارة اليه ذلك هو توارث فنية العمل واعتياد أحدهم من صغره فما ان يكبر يغدو العمل هينا سهلا لديه .

ولا حراجة عندهم في موقفهم ازاء عملهم اذ انه ليست هناك من عوائل قادرة على امتهان ما امتهنوه . ولأني قد خبرت بعض الرجال حين عرضت عليهم نفس العمل ان كانوا قادرين ، قالوا انه مهيب رهيب لم يتمرسوه . ولا شيء اذاً في عمل اعداد لوازم الموتى عند هذه العوائل ، مما ندعيه باحتكار !

الا ، ان ما تسديه هذه العوائل من عمل لهو خدمة انسانية ما أجلها .

# نحت الصخور الموجودة على واجهات القبور
# فن رائع ابدعته ايد نجفية

هناك على الشارع المؤدي الى الكوفة يطل محل صغير في داخله آلة تدار باليد ، وحولها صخور مختلفة الأحجام • وحين دنوت ، سألت : هل هو الوحيد في النجف ، أنا لم أر سواه ؟ قالوا ،لا، بل هناك محلات قليلة سواه تعمل نفس العمل •وتجهز المقبرة مما تحتاجه من صخور منحوتة باسم المتوفى وتأريخ وفاته ، وربما نحتت في جانب منها آية أو سورة قصيرة من القرآن الكريم أو بيت شعر حكمي لموعظة •

وكأن الذين سألتهم يمجون الاختصار في الحديث وفيما اعتادوه بعض مناي ، حتى الم بما ابتغيه ، فاستأنفوا القول ، وقالوا : ان الصخور العادية التي تراها ، تعمل هنا في النجف ، أما المرمر الجيد المزخرف المكتوب ، فهو معمول في بغداد ، اما الكاشي المزخرف والمدون عليه اسم المتوفى وتأريخ وفاته فهو معمول في كربلاء لهذه الغاية ، ومن ايران تجلب صخور خاصة لتزيين قبور أناس عظماء أجلاء •

## النزاهة ضرورة لازمة لاداء لوازم الاموات

ان النزاهة لازمة لكل الاعمال ، وكذلك الاخلاص ، سوى ان النزاهة يجب أن تكون على أتمها لدى الأفراد ، العاملين في اعداد لوازم الموتى ، فالمشتغل فى التغسيل والدفن ، وبناء القبور ينبغي ان يكون مؤمناً طاهراً صادقاً أميناً ، حسن الأخلاق والمعاملة ويجب أن يكون أول من عرف رداءة الدنيا الفانية . وأول من اتخذ من عمله موعظة ترشده للعمل الصالح .

ومن هنا قال رشيد سليم الخوري :

لو كان يتعظ الورى بالموت ما ولد الغرور
ولكان أزهـد زاهد في الأرض حفار القبور

## ـ احصائيات ـ

ان عدد الجنائز التي ترد النجف يتفاوت بين فصل وآخر ففي الشتاء يبلغ المعدل اليومي ٤٠ ـ ٥٠ جنازة اما في الصيف فعدد الجنائز الواردة يتراوح ما بين ٣٠ ـ ٤٠ جنازة ويتراوح أخيرا ما يرد النجف خلال سنة ما بين ١٥ ـ ٢٠ الف جنازة تقريباً ، ولا يخفى بأن هذه النسبة تتفاوت تفاوتاً كبيراً بين سنة واخرى .

## ـ أثر المواصلات ـ

المواصلات شبكة من خطوط تربط بين جهات الأرض ، بين جهات الأرض ، بين الحقل والمعمل والقرية والمدينة وبين المعمل والسوق . وهي أنواع تطورت من شكلها البدائي الى شكلها الحديث ذلك لأنه حينما تطورت المعرفة وازدهر الأبداع والاختراع ، تطورت صور الحياة الانسانية ، ومن صورها المتطورة المواصلات وشمل هذا التطور المواصلات التي تربط مدينة النجف بما يحيطها من مدن ، فأصبحت أسرع مما كانت عليه في السابق . فهي اليوم ترتبط بطرق مبلطة مع الكوفة الى الحلة ــ الى بغداد ومع كربلا ــ الى بغداد ، ومع أبي صخير الى الديوانية . ولا يخفى ان تلك المدن التي ترتبط بها النجف ترتبط بمدن اخرى .

وقد ساعد هذا على زيادة عدد الزائرين وزيادة عدد الجنائز الواردة الى النجف ، وقلل من اتباع عملية التأمين « دفن الجنازة الى حين ، ومن ثم نقلها من مدفنها الأول الى النجف » حين تسمح الظروف بتلك الطريقة المتبعة فى السابق بسبب صعوبة المواصلات التي كانت تكلف وقتاً ونفقات ، ولنرجع الى الوراء لنطلع على ما كان يعانيه الناس في العراق وخارجه فيما يخص نقل موتاهم الى النجف ، وخير ما نذكره في هذا المجال وصف السائحة مدام ديولافوا التي قدمت الى العراق وتكلمت الكثير عنه فقد قالت :

« لقد لفت نظري أشياء مركومة بعضها فوق بعض ، فتقدمت منها اتفحصها وما كدت أمد يدي حتى ارتدت اليّ كأنه قد مسها تيار كهربائي ، واضطربت أشد الاضطراب . كانت هذه الأشياء المحزمة المركومة جثث موتى بعضها قد لف فى بساط أو سجاد ، وحزمت بحبال وبعضها في توابيت من خشب ، يبدو من بين شقوقها اللحم الجامد المسود لهؤلاء الموتى ... واسترسلت في القول الى أن قالت ... والواقع ان دفن الموتى بجوار أضرحة مراقد الائمة أصبح عادة لفريق من المسلمين منذ أوائل عهد الاسلام أي بعد استشهاد الحسين عليه السلام في كربلاء ... واليوم يجلب أكثر الطائفة الشيعية جثث موتاهم من أبعد المناطق كالهند وايران الى مدينة النجف وكربلاء بقرب مراقد هؤلاء الأئمة الذين ينزلون من نفوسهم منزلة التقديس .. »

وكانت تلك الصفحة التي تحدثت فيها على هذا الشأن مزينة بصورة خطيةٍ تمثل قافلة من الحمير تحمل مجموعة من الجنائز ، وقد عنونت بعنوان « هذه قافلة نقل الجنائز » .

وأذكر انه في زمان ليس بالبعيد جداً ، كان أهل البصرة والعمارة ينقلون أمواتهم بواسطة الزوارق النهرية خلال نهر الفرات صاعدين حتى الكوفة ، ومن ثم تنقل الجنائز بواسطة العربات الى النجف ، كانت تستغرق تلك السفرة اسبوعين وربما أكثر .

# حكم نقل الموتى المباشر ونقلهم من مدفن الى آخر

يقال ان أول من فتح باب ترخيص نقل الجنائز هو الشيخ محمد بن بابويه ، وقد ذكرت أدلة في عهده ضعيفة ترجح هذا النقل الى المشاهد المشرفة والى المشهد الغروي خاصة لأنه كما دلت الأخبار التأريخية إنه أفضل وأنفع للميت ، وقد نوهنا عن ذلك في فصول تقدمت ، وإن يحمل الميت الى بقعة شريفة تستفيد روح الميت من بركاتها فاذا بلغت جنازته مكاناً مباركاً تكون قد نالت المنى .

وانك لا شك قد استخلصت إثر قراءتك ما مر من فصول الامور التي يحظى بها المدفون في وادي السلام ، ومن الممكن حصرها بالنقاط التالية :

١ — إن المدفون يكون في جوار حامي الذمار قسيم الجنة والنار علي عليه السلام .

٢ — رجاء الفوز بالقرب من علي (ع) ونيل شفاعته .

٣ — التخلص من عذاب البرزخ لأن من يدخل وادي السلام يحف بالأمان والسلام .

٤ — مجاورة أئمة عظام خدموا الايمان والاسلام .

٥ ــ حصول المنى بفوز النعيم .

وفي أمر جواز نقل الميت مباشرة بعد موته أو دفنه ثم نقله من قبره الأول الى قبر جديد حصلت فيه مناقشات طويلة جداً حتى برز نفر من الناس لا يجوز النقل ويحظره حظراً تاماً ، ويرى إنه من المنفعة للميت دفنه فى المكان الذي مات فيه أو قريباً منه معتقداً ان في ذلك حفظا لحرمة المتوفى دون هتكة بالنقل وذكر في الغدير[1] « لقد كثر اللغط حول هذه المسألة ــ ويعني العلامة الاميني مسألة نقل الأموات ــ من اناس جاهلين بمواقع الاحكام ، ذاهلين عن مصادر الفتيا حسبوا إنها مختصات الشيعة فحسب ... ان الشيعة موافقون من أهل المذاهب الأربعة جواز نقل الموتى لاغراض صحيحة الى غير محال موتهم قبل الدفن وبعده مهما اوصي به الميت أو لم يوصي به ... »

والروايات الواردة التي تجوز النقل كثيرة ، جميعها تراه ضرورة ، فيما اذا اريد تكريم الميت بنقله لدفنه الى جوار رجل صالح ، حتى ان بعض الأحاديث والمناقشات قالت بوجوب النقل ذلك لان المنقول لابد ان يكون عزيزاً على أهله ، فلا مندوحة من تكريمه بنقله جوار الامام ليحوز المكاسب السالفة التي ذكرنا .

---

(١) كتاب الغدير جـ ٥ ص ٦٦ ــ للعلامة الشيخ عبدالحسين أحمد الأميني .

وكتب السيد عبدالحسين شرف الدين في مقالة عنوانها نقل الأموات في عدد من مجلات العرفان الصيداوية [١] رد بها ، على هبة الدين الشهرستاني الذي حرم النقل بكل صوره قال : « نقل الأموات أما قبل الدفن أو بعده الى أحد المشاهد المقدسة أو الى غيرها ، فهنا أربع مسائل ، الأولى نقلهم قبل الدفن الى أحد المشاهد المشرفة فانه مستحب عندنا كما في كشف اللثام وفي مفتاح الكرامة نقلاً عن التذكرة والذكرى وجامع المقاصد والروض كان عليه عمل الامامية من زمن الائمة عليهم السلام الى الآن من غير تذاكر اجماعاً .... والمسألة الثانية نقل الأموات قبل دفنهم الى غير المشاهد المشرفة .... والحكم في هذه المسألة الجواز على كراهة بلا خلاف بين الأصحاب وتراهم يرسلون الكراهة هنا إرسال المسلمات بل في مفتاح الكرامة نقلاً عن التذكرة ونهاية الأحكام والذكرى وجامع المقاصد وشرح الجعفرية والمفاتيح والاجماع على كراهة فيها ... والمسألة الثالثة نقل الأموات بعد دفنها الى أحد المشاهد المقدسة والمشهور بين أصحابنا فيها الحرمة كما عن المسالك والروض والكفاية والتذكرة والمنتهى والقواعد المختلفة ونهاية الاحكام والتلخيص والسرائر والشرايع والذكرى والبيان ... والمسألة الرابعة نقل الأموات بعد دفنهم الى غير المشاهد المشرفة وهذا

---

(١) مجلة العرفان الصيداوية — ج ٣ — ص ٨٩٧ .

محرم .... » .

وان نقل الموتى مباشرة أو دفنهم ثم نبش قبورهم ونقلهم من مدفنهم الأولى الى مدفن آخر من بعد حين جائز عند المسلمين . تقره كل المذاهب الاسلامية ، وان لكل مذهب احكامه الخاصة في هذا الشأن سنذكرها فى ختام هذا الفصل وكل المذاهب اتبعت النقل ، وكان لنقل رفات اولئك الرجال من المذاهب الاربعة يوم مشهود تقام فيه حفلات مكتظة يحضرها حشدمن العلماء والخطباء والقراء ... كل ذلك ينبأ عن جوازه واتفاق الأمة الاسلامية عليه . وكان ذلكمطردا منذعهد المسلمينفي القرون الاسلامية ... ولولم يكن كذلك لما اختلفت الصحابة في دفن رسول الله (ص) بالمدينة أو بسكة أو عند جده ابراهيم الخليل [1] .

اما الآن ، وفسن الحسن واللطافة ، فيهذا المضمار ذكر جملة من حوادث النقل التي سجلت في زوايا التأريخ وكلها تؤكد جوازه وهي :

١ ــ انه لما مات يعقوب حمله يوسف الى أرض الشام فدفنه

---

(١) راجع الغدير للأميني ص ٦٨ ، والملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ٢١ هامش الفصل ، وراجع شرح الشمايل للقاري جـ ٢ ص ٢٠٨ ، وراجع شرح الشمايل للمناوي جـ ٢ ص ٢٠٨ ، والسيرة الحلبية جـ ٣ ص ٣٩٣ ، والصواعق المحرقة ص ١٩ .

في بيت المقدس [١] .

٢ — وما رواه الراوندي في كتاب قصص الأنبياء ، باسناده الى الصدوق بسنده الصحيح عن محمد بن مسلم ، مثله ، وقد رواه أيضاً العالم العيني الحنفي رحمه الله في كتاب كنز الدقائق ، والعالم صاحب مرافق الفلاح وغيرها ، المروي في البحار : ان الله أوحى الى موسى (ع) ان اخرج عظام يوسف (ع) من مصر الى ان قال فاستخرجه من شاطىء النيل فى صندوق مرمر وحمل الى الشام.

وروي عن الصادق عليه السلام أن الله تبارك وتعالى أوحى الى موسى بن عمران ان اخرج عظام يوسف من مصر الى ان قال فاستخرجه من شاطيء النيل في صندوق مرمر فحمله الى بلاد الشام [٢] .

٣ — وما روي في نقل عظام آدم عليه السلام الى النجف وهو دليل ناصع يؤكد جواز النقل ، والحجة في ذلك ان الناقل والمنقول من الأنبياء

٤ — وحري بنا هنا أن نذكر ماسبق ان ذكرناه حيث ناسبه الذكر ،

---

(١) راجع وسائل الشيعة — للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي ٨٣٥ ، وراجع حاشية ابي الاخلاص الحنفي جـ ١ ص ١٦٨ طبعت الهامش درر الأحكام .

(٢) راجع وسائل الشيعة ص ٨٣٥ .

وهو ما روي عن أمير المؤمنين (ع) وخروجه الى الخلوة بنفسه ومجيئه الى ظهر الكوفة ، وما جرى له من حديث مع الرجل اليماني الذي معه جنازة أبيه قادم بها النجف لدفنه فيه [١] .

٥ ــ وأوردت الأحاديث بأن جملة من العلماء دفنوا ثم نقلوا الى النجف ، وقد ذكر ان المفيد نقل من مدفنه في منزله الى جوار الكاظمين عليهما السلام . والبهائي من اصبهان الى المشهد الرضوي [٢] .

٦ ــ وروي ان عبدالرحمن ابن أبي بكرمات بالشام وحمل منها ، واختلف في المكان الذي نقل اليه هو اما الى المدينة أو الى الكوفة .

٧ ــ وروي أيضاً أن سعد بن أبي وقاص مات في ضيعة له على أربعة فراسخ عن المدينة وحمل على أعناق الرجال الى المدينة [٣] .

---

(١) راجع تحفة العالم ، وكامل الزيارة لابن قولويه ، وكفاية الطالب الشافعي الكنجي ، وفرحة الغري لابن طاووس ، وارشاد القلوب .

(٢) بشارة الزائرين ــ عبد الحسين المبارك .

(٣) راجع الحجة البالغة للشيعة في جواز نقل الموتى في الشريعة للبغدادي ــ ص ٣٢ .

٨ ــ وان علياً عليه السلام نقل من الكوفة الى الغري وحقق له بهذا النقل اختياره ، الى جوار آدم ونوح عليهما السلام .

٩ ــ ابن اسحاق ابراهيم بن يحيى الكلبي الأشهبي الغزي ، مات سنة ٥٢٤ هـ ، ما بين مرو وبلخ فحمل نعشه الى بلخ ودفن فيها .

١٠ ــ والملك المظفر تقي الدين أبو سعيد عمر بن شاهنشاه الأيوبي صاحب حماه مات سنة ٥٨٧ هـ ونقل الى حماه ودفن فيها .

١١ ــ والسلطان أبو مضر زيادة الله بن محمد بن الأغلب مات بالرقة سنة ٢٩٦ هـ وحمل الى القدس فدفن بها .

١٢ ــ والقاضي بهاء الدين الشهروزي : مات سنة ٥٣٢ هـ بحلب وحمل الى صفين فدفن بها تبركاً بمجاورة المستشهدين فيها من الصحابة كعمار وخزيمة وابني بديل وغيرهم نص على ذلك جماعة ، كابن خلكان .

١٣ ــ والملك الأفضل أبو الحسن علي بن السلطان صلاح الدين الايوبي مات بسميساط ونقل الى حلب فدفن بالقرب من مشهد الهروي سنة ٦٢٢ هـ .

١٤ ــ وأبو الفضل جعفر المعروف بابن خترابه الوزير الخطير مات سنة ٣١٩ هـ بمصر فحمل الى الحرمين .

١٥ ــ وأبو الحسن علي الملقب جلال الدين بن الجواد الأصفهاني مات سنة ٥٧٤ وحمل الى الموصل ثم الى المدينة المنورة

فدفن بها .

١٦ — نقل جنازة اسماعيل بن الامام أبي عبدالله الصادق (ع) من العريض وقد مات بها الى المدينة المطيبة .

١٧ — وعلي بن سلمان قال كتبت اليه صلوات الله عليه عن الميت يموت بعرفات يدفن بعرفات أو ينقل الى الحرم ، فأيهما أفضل فكتب يحمل الى الحرم ويدفن أفضل ، ومثله خبر سليمان عن أبي الحسن عليه السلام .

١٨ — وقد اختلف الصحابة في دفن النبي (ص) أرادوا المهاجرون دفنه في مكة لأنها مسقط رأسه ، أي حمله اليها ، لكن الأنصار أصروا على دفنه في المدينة لأنها دار هجرته ومحل نصرته فدفن بها .

١٩ — والمؤتمن اسحاق لما توفيت زوجته السيدة نفيسة في سنة ٢٠٨ هـ في مصر وأراد نقلها من مصر الى المدينة ليدفنها عند جدها (ص) فلما عزم على ذلك سأله المصريون بقائها عندهم لينالوا الرحمة من الله تعالى بجوارها فأجابهم .

٢٠ — وامام الأشاعرة ومؤسس قواعدهم واصولهم القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني البصري المتكلم الشهير مات في بغداد بعد ان انتهت اليه الرياسة في اصول الدين وصلى عليه والده ودفن بداره ثم نقل بعد ذلك فدفن في مقبرة باب حرب

٢١ — والامام أبو حامد بن محمد بن أحمد الاسفراييني فقيه الشافعية مات سنة ٤٠٦ ببغداد ودفن في داره ثم نقل سنة ٤١٠ الى مقبرة باب حرب فدفن بها .

٢٢ — وأبو الحسين أحمد بن محمد القدوري مات سنة ٤٢٨ في بغداد ودفن في داره ثم نقل الى شارع المنصور فدفن الى جنب الخوارزمي الفقيه الحنفي .

٢٣ — وأبو العباس أحمد بن عبد السيد الاربلي ، دفن بظاهر لرهى سنة ٦٣١ هـ ثم نقلوه من هناك الى الديار المصرية سنة ٦٣٧ هـ فدفن بالقرافة الصغرى .

٢٤ — والملك مظفر الدين كوكبودي مات سنة ٦٣٠ هـ ونقل لى مدفن آخر .

٢٥ — وأبو الحسين محمد بن أحمد المعروف بباب سمعون لواعظ مات سنة ٣٨٧ هـ دفن ونقل الى مدفن آخر .

٢٦ — وأبو جعفر محمد بن علي المعروف بالجواد الاصفهاني ات سنة ٥٥٩ ودفن في الموصل ،ونقل الى المدينة ودفن في البقيع .

٢٧ — وفي كتاب الحجة البالغة ص ٣٢ — ٣٣ ،جاء انه قد ذكر علامة ابن خلكان ان جماعة من العلماء والمسلمين نقلوا قبل الدفن

منهم أبو الحسن علي الملقب بجلال الدين توفي بمدينة « دينة » وحمل الى الموصل ثم نقل الى المدينة المنورة ، ومنهم قطب الدين العبادي الواعظ فأنه خرج من بغداد الى خوزستان في رسالة فمات في معسكر مكرم وحمل تابوته الى بغداد ودفن عند الشيخ جنيد ابن محمد ، ومنهم محمد بن الحسين الفقيه الشافعي الحافظ الكبير المشهور توفي بنيشابور ، ومنهم محمد بن الحسن مات بعيداً عن نيشابور ونقل اليها . ومنهم الصاحب بن عباد توفي بالري وحمل الى أصفهان ودفن في بيته ، ومنهم علي بن عبدالله توفي بحلب ونقل الى « ميافارقين » ودفن في تربة أبيه .

وان هناك عدداً كبيراً جداً من الناس نقلوا بعد موتهم الى مكان بعيد ليدفنوا فيه ، وعدداً آخر يقربه لاناس ماتوا ودفنوا ثم نقلوا من مدفنهم الأول الى آخر ، بالأخص الى الأماكن المشرفة . والحديث في ذلك يطول . والذي يريد الاستزادة ، ما عليه إلا مطالعة كتاب الغدير للشيخ الأميني جـ ٥ ( باب نقل الجنائز ) ، ففيه فصل في ذكر من نقلوا بعد موتهم مباشرةً ، وآخر في ذكر من نقلوا من مدفن لآخر .

كل ما تقدم يسند صحة حكم النقل بشتى اشكاله . اما اليوم فمظهر النقل المباشر وغير المباشر ، القادم من كل الجهات الدانية والقصية نحو مرقد الامام علي (ع) شائع ومستمر .

تسمى الجنائز المدفونة لأجل تحدده الظروف بالجنائز المؤمّنة أو « الودائع » ، والأسباب التي ترغم على التأمين أو التوديع منها بعد الشقة ، ووجود ظروف لا تتيح النقل أبرزها الظروف الاقتصادية لذوي الفقيد .

والنقل للجنائز اليوم أوسع مما كان عليه في السابق ، تقره أئمة عصرنا الكرام ، مستدلين بصحته أيما استدلال ، كما أقره قبلهم علماء عظماء كانوا في زمانهم قادة امة ورجال علم ودين .

وورد في كتاب التميمي عن النجف ان هذا المظهر قد دعمته العلماء في أدلة عقلية معقولة قطعية وفلسفية ، وقد اقترحوا بأنه مسوغ فذكر : « ومنها أن يكون ذلك لايصاله الى محل يرجى فوزه بالثواب أو نجاته من العقاب كالنقل الى المشاهد المشرفة ومقابر مطلق الأولياء والشهداء ، وربما كان ذلك أولى من غيره . فيخرجه كلاً أو بعضاً عظماً أو لحماً أو مجتمعاً ولولا قيام الاجماع والسيرة لقلنا بوجوبه في بعض المحال » .

وان ما ورد في بشارة الزائرين من اشارات معقولة تؤكد جواز ما نحن فيه تتحدث ، انه لا محذور في نقل الميت الى المشاهد المقدسة مطلقاً ولا مانع من جواز النبش وخصوصاً اذا كانت الغاية دفنهم الى جوار حامي الذمار والد الائمة الأبرار علي (ع) وليس للتهتك مجال في هذه العملية بل العكس ان في ذلك اهتماماً

في الميت واحساناً اليه .

يقول العلامة الطباطبائي :

والنبش محظور وحدّه البلا وهو لحقّ آدمي حلّلا
والأقرب الجواز للنقل الى جوار من بقربهم نيل العلا

وذكر السيد جواد شبر في مخطوطته « الاسلام دين ودولة [1] » بصدد النقل : « وشيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) تنقل موتاها الى النجف الأشرف ، الى وادي السلام ، والطور الأيمن ، وأرض البركة والرحمة والرضوان ، والى بقعة في جنة عدن ، الى جوار ساقي حوض الكوثر يوم القيامة ... »

وليس عندي أكثر من القول بأن هذا الكتاب بكل محتوياته دليل ناطق وبرهان ساطع ، يسيغ النقل ويحببه ، والذي يحيط به يدرك الفوائد الجمة التي تعود على المدفون بعد نقله ودفنه في وادي السلام .

اما فيما يخص المذاهب الاخرى فأنها تسوغ النقل بأحكام لها سنت كالشيعة .

فالمالكية : تجوز نقل الميت قبل الدفن وبعده من مكان الى آخر بشروط ثلاثة أولها أن لا ينفجر حال نقله . ثانياً أن لا تنتهك حرمته بأن يُنقل على وجه يكون فيه تحقير له . ثالثاً أن يكون

(١) « الاسلام دين ودولة » ص ٢١٢ — مخطوط .

نقله لمصلحة كأن يخشى من طغيان البحر على قبره ، أو يراد نقله الى مكان ترجى بركته أو الى مكان قريب من أهله ، أو لأجل زيارة أهله إياه ، فإن فقد شرط من هذه الشروط الثلاثة حرم النقل » [١] .

وقالت الحنابلة : لا بأس بنقل الميت من الجهة التي مات فيها الى جهة بعيدة عنها بشرط أن يكون لغرض صحيح أن ينقل الى بقعة شريفة ليدفن فيها أو ليدفن فيها بجوار رجل صالح ولا فرق في ذلك أن يكون قبل الدفن .

وقالت الحنفية : لا بأس بنقله من جهة الى اخرى عند أمن رائحته .

اما الشافعية : فقد قالت : يحرم نقل الميّت الى بلد آخر ليدفن فيه . وقيل : يكره إلا أن يكون بقرب مكة أو المدينة أو بيت المقدس أو بقرب قبر رجل صالح ، ولو أوصى بنقله الى أحد الأماكن المذكورة لزم تنفيذ وصيته عند الأمن من التغيير ، والمراد بمكة جميع الحرم ، لا نفس البلد [٢] .

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ص ٤٢١ .

(٢) المنهاج المطبوع بهامش شرحه ، المغني جـ ١ ص ٣٥٧ . تأليف محي الدين الشافعي .

## ـ الفواتح وما يتلى فى ختامها

يقيم أهل كل فقيد في النجف الفاتحة له بعد موته مباشرة ولمدة ثلاث ليال ، يطلبون له فيها من الله الرحمة والرضوان ، وأكثرها تقام في الصحن الطاهر ، يستعان لهذا الشأن بفراش الصحن أو فراش المصلين فيه ، وهي تقام ليلاً بعد الصلاة وتوزع خلالها أجزاء من القرآن معدة لهذا الغرض ، على المواسين ليقرؤها ثواباً للفقيد ، ويتصدر الفاتحة شيخ يرتل القرآن وفي أغلب الأوقات يقرأ المرتل كلاماً خاصاً كختام للفاتحة وهو بسم الله الرحمن الرحيم :

صدق الله العلي العظيم الذي اختاره لنفسه البقي والدوام وحتم بالموت والفنا على الخاص والعام وساوى في التراب بين الملوك والخدام فقال تعالى ولقوله الاجلال والاعظام ( كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ) فسبحان من ملك لا يرام وعزيز لا يضام وقوي لا يعجزه الانتقام خلق السماوات والأرض فى ستة أيام وعنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ذلكم الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام وصدق نبينا محمـــد (ص) المفضل على سائر الأنام المخصوص

بالحوض والشفاعة والمقام الذي هدانا لدين الاسلام وأوضح لنا مبهمات الأحكام صلى الله عليه وآله الاعلام ما أضاء الليل وما دجى ظلام وصدق علي أمير المؤمنين عليه السلام السقي يوم الزحام وصدقت الأئمة المنزهون عن الخطايا والآثام أيها الناس ايقضوا القلوب عن مراقد الغفلات واعدلوا النفوس عن موارد الهلكات في مواطن الخلوات وبادروا في طاعة رب السموات واياكم ومظالم العبادة فانها من أعظم الخطيئات واعلموا ان الدنيا ليست بدار ثبات وانما هي دار الشتات ومحل الرزايا والآفات دار النوائب والمحن دار المصائب والفتن دار لا يدم نعيمها ولا يعافي سقيمها دار المغتر فيها ذليل والمستكثر بها قليل والمقيم فيها الى رحيل دار أولها عناء وآخرها فناء دار في حلالها حساب وفي حرامها عقاب واقبالها خديعة وادبارها فجيعة وامنها على حذر وصفوها على كدر لا تسمح ببقاء الا صيرته الى فناء ، كم أبادت صروفها من امة أين الملوك والأرباب أين الانساب والأحباب أين العلمـــاء والطلاب أين الأقرباء والأصحاب ، وصلوا الى المقابر وطحنتهم الأحجار الصلاب وأكلت نواعم خدودهم الدود والتراب أين الملوك الذين ملكوا الدنيا ونواحيها ، ونفذوا اموالهم في أيامها ولياليها ، اما والله انهم قد زعموا انهم أكثر البرية اعداداً وأكثرهم أموالاً وأولاداً اما علموا انهم فارقوها وسكنوا الحادا فرحم الله

امرءاً أحسن لنفسه النظر وتفكر فيما مضى من الدهر واعتبر واطال البكى على قبيح عمله واستغفر ربه بجميع زلله قبل ان تلسعه عقارب المنية وتطرقه طوارق الأذية فيا سلالة الامة السالفة ويا بقية البرية التالفة استصحبوا زاداً للرحيل فقد قرب أوانه وتأهبوا لطوارق المنون فقد نعق في عرصاتكم غربانه ، واستعدوا لملك الموت ، فقد صالت على نفوسكم فرسانه ، فبينما أجدكم في ميدان هواه خائضاً في بحر خطاياه مشتغلاً عن آخرته بدنياه مسروراً بما ملكت يداه اذ هجم عليه هادم اللذات المفرق بين القبائل والجماعات وانتزع روحه من بدنه وأخرجه من ماله ووطنه ويتم منه العاقبة وارمل فيه الصاحبة وزود من ماله كفناً وجعله في الأرض بعمله مرتهناً فلو كشفت لكم عن اطباق الثرى بعد ثلاثة أيام لرأيتموه متغير الحال أحداقه سائلة على خديه وأصابعه ساقطة من كفيه وهامته قد انفلقت وأضلاعه قد انطبقت ، وجلده قد امترق وبطنه قد انفتق وظهره من التراب قد انكسر وصديده قد سال على سائر كفنه والدود قد خلص نواعم بدنه فيا اولي الألباب والعقول والسامعون لما أقول اما أنتم بهذا الحديث مصدقون مالكم منه لا تشفعون فورب السماء ما نطقت به انه لحق مثل ما انكم تنطقون فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ، عباد الله انكم لهذا المنهل وأردون ، ولغصصه متجرعون ، ولا

تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ، لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة هم الفائزون .

يا غافلاً والدهر يحطم عمـــره
لا تحسبن الموت عنـــك غفولا
واذا رأيت جنـــازة محمولة
فاعلم فأنك مثلهـــا محمولا
اوما ترى قوماً حدى بهم النوى
قد اصبحوا تحت التراب نزولا

---

وما الليـــل والايـــام الا منـــازل
يسير بهـــا سار الى الموت قاصد
ومن أعجب الأشياء تلك عجيبة
منـــازل تسري والمسافر قاعد

---

ولو انا اذا متنـــا تركنا لكان الموت راحة كل حي
ولكنا اذا متنـــا بعثنا فنسئل بعدها عن كل شيء

---

يا عامر الدنيا الى كم وكم اما رأت عيناك قصراً خراب
تعمر يا مسكين دار الفنـــا ودار عقبـــاك خراب أراب
أفق كـــأني بك مستصرخاً تدعى فلم تقدر لرد الجواب
خليلك الخالص من بينهـــم يحثوا بكفيه عليك التراب

أيهـا الناس والمعزون طراً لكم عظم الآلـه الاجورا
وحبا ميتكم بجنات عـدن ثم لقـاه نظرة وسرورا
وجزاكم خير الجزاء اذ أقمتم مأتم الميت جنـة وحريرا
واتكأتم فيهاعلى الارائك فيها لم تروا شمسهاولا الزمهريرا
ولهذا جزيتـم بنعيم الخلد فيهـا وسعيكم مشكورا

---

.... رحم الله من قرأ وتلا واهدى ثواب ما قرأناه من كتاب الله العزيز الى روح السعيد المتوفى فلان ابن فلان فى هذه الساعة قربة الى الله تعالى الفاتحة ...

ولوالدينا ولوالديه ولكافة المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات بالمغفرة والرضوان اللهـم جاف الأرض عن جنوبهم وصعد اليك يا رب أرواحهم ولقهم يا رب منك رحمة ورضواناً وانزل لهم من رحمتك ما تصل به وحدتهم وتؤمن به وحشتهم انك على كل شيء قدير وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

تسلى فـكم لـك من سـلوة
تفرج عنـك هموم الحـزن
بموت النبي وقتـل الوصي
وذبح الحسين وسـم الحسن

# زيارة القبور وآدابها

ان للشيعة عقيدة متكاملة في زيارة قبور أئمتهم الكرام (ع) عقيدة فيها لهم خير يرجونه وجاه يأملونه يتقربون اليهم ، ويطلبون بحبهم لهم شفاعة .

وجاء في كتاب عقائد الامامية [1] ، وتحت عنوان « عقيدتنا في زيارة القبور » : ( ومما امتاز به الامامية العناية بزيارة القبور قبور النبي والأئمة عليهم الصلاة والسلام ... وتشييدها واقامة العمارات الضخمة عليها ولأجلها يضحون بكل غال ورخيص عن ايمان وطيب نفس .

ومرد كل ذلك من وصايا الأئمة ، وحثهم شيعتهم على الزيارة وترغيبهم فيها لها من الثواب الجزيل عند الله ) .

وقد بين المجتهد الأكبر الشيخ محمد رضا المظفر رحمه الله من جملة ما بيَّن ، فوائد زيارة القبور الدينية والاجتماعية ، اذ ان بها تقوى رابطة الولاء ، للأئمة الأطهار ، وتحل الألفة والتعارف بين الناس ، وتذكر بها مواقف الأئمة عليهم السلام وتضحياتهم في

---

(١) عقائد الامامية ــ الشيخ محمد رضا المظفر ( قدس سره) مطبوعات النجاح في القاهرة .

سبيل نصرة الحق .

وبيّن العلامة فقيه الاسلام المظفر رحمه الله اموراً كثيرة تتعلق بآداب الزيارة ، فقد أوجب على الزائر أن يكون طاهراً مؤمنا ، ويفضل تصدقه على الفقراء ، واعانته على المنكوبين ،وان يتحلى بأخلاق عالية ومثل عليا .

والناس يأمون النجف زرافات ووحدانا من كل حدب وصوب من داخل العراق وخارجه ، وهم يبدون في الايام المخصصة للزيارات كتلاً متراصة اذ يطلبون الخير والغفران مكررين في ذاكرتهم أخلاق الأئمة وبطولاتهم في نصر الاسلام واعلاء كلمة الايمان ، لتكون لهم خير مرشد للسعادة في الدنيا ونيل الآخرة ، ولا جدال في ان المتمعن في الناس من الذين زاروا النجف يجدهم في غبطة وحبور فهم في زيارتهم يكسبون خيراً عظيماً من ولاء لأئمتهم الكرام ، ويضاف الى ذلك انهم يؤدون طقوسهم الدينية في مراقد مشرفة،وفي ذلك نيل شفاعة ومغفرة لاشك يرجوها الانسان ثم زيارة قبور موتاهم طالبين لهم من الله المغفرة والرضوان . اما التعارف والتوادد بين الناس فيحصل في هذه الزيارة بالتماس ، وفي زيارتهم أيضاً استطلاع واستجمام .

وترى الناس يوم الزيارة بوجوه بشة وضمائر زكية ونفوس مرحة ،كأنما جاءوا ليغسلوا قلوبهم من أدران وأوضار تفاقمت .

وان زيارة وأدي السلام في الاعياد أمر" اتخذ طابعاً خاصاً ورونقاً متميزاً • ففي عيد رأس السنة « عيد الدخول » مثلاً يشاهد جمع كبير من القرويين المزارعين يقصدون النجف من قريب وبعيد ، ويعقدون حلقات الأنس والامتاع معتقدين ان في هذه الايام يشاركهم موتاهم أفراحهم ، وهم يهزجون مؤدين الدبكات العربية العراقية بأبهى ما يكون الابداع، وينشدون أناشيد الذكرى ذكرى الأيام التي خلت ، وكان لموتاهم فيها نصيب •

والأكراد في أيام أعيادهم يزورون قبورهم في النجف ويعملون ما في وسعهم هدية لموتاهم عسى الله يغفر لهم ما قد اقترفوه من ذنوب • وتحل أيضاً الالفة والمحبة والتعارف بينهم وبين العرب كما هي الحال بين العرب والايرانيين القاصدين للزيارة •

وجاءت روايات كثيرة عن الأئمة ومحبيهم ما ذكرنا في أمر الزيارة •

فقد جاء انه قيل لأبي عبدالله عليه السلام يقوم الرجل على قبر أبيه وقريبه وغير قريبه هل ينفعه ذلك ؟ قال نعم ، ان ذلك يدخل عليه السرور كما يدخل على أحدكم الهدية يفرح بها • زيارة قبور « الأئمة والمؤمنين مستحبة » وعن الائمة ألا زوروا القبور فانها تذكركم بالموت •

وذكر في تحفة العالم ان لزيارة القبور أحكاماً تصقل نفسية

الزائر لينعكس شعاعها على أرواح الأموات ، ولذا كان يستحب الوضوء عند الزيارة .

وقد حلل كتاب تحفة العالم المثل القائل « اذا تحيرتم في الامور فاستعينوا من أهل القبور » اذ انه كلما حصل في نفس الزائر ينعكس منه نور الى روح ذلك الانسان الميت ، وكلما حصل في نفس ذلك الميت من العلوم والآثار القديمة الكاملة فانه ينعكس منها نور الى روح هذا الزائر الحي ، وهذا يشير الى الملاقاة الروحانية وينتج بذلك نفع جزيل وابتهاج جسيم لروح الزائر والمزور ، وربما لهذا السبب شاع المثل الذي فحواه « اذا ضاقت فيكم الصدور عليكم بزيارة القبور » بين سكان النجف .

وقد جاء أن أهل اسطاغيرا اذا تناظروا واختلفوا في شيء من المعارف جاؤا الى الموضع الذي فيه عظام ارسطو لأجل تزكية عقولهم وفكرهم [1] .

---

(١) تحفة العالم ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

# مايقال عند الزيارة من دعاء وتسليم

كما ان هناك اصولاً وآداباً لهذه الزيارة فهناك كلمات يتفوه بها عند القبور فقد ذكر عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال عند أهل القبور : يا أهل التربة ، يا أهل الغربة ، اما المنازل فقد سكنت واما المواريث فقد قسمت وأما الازواج فقد نكحن هـذا خبر ما عندنا ثم قال بعد الحلف بالله لو أذن للقوم في الكلام لقالوا اتا وجدنا خير الزاد التقوى .

وروي انه قيل لأبي عبدالله عليه السلام كيف أسلم على أهل القبور قال نعم تقول : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين أنتم لنا فرط ونحن ان شاء الله بكم لا حقون .

وجاء انه اذا أردت زيارة قبر أحد المؤمنين فعليك ان تستقبل القبلة وتضع يدك على القبر وتقول اللهم ارحم غربته وصل وحدته وانس وحشته وآمن روعته واسكن اليه من رحمتك رحمة يستغني بها من رحمة سواك والحقه بمن كان يتولاه .

وروبت روايات كثيرة ان الأموات يعلمون الزيارة ويفرحون بمن يزورهم ويستأنسون ، وقد كثر سؤال الناس على مايقال عند الوقوف على القبور .... وذكر انه يفضل القول عند القبور ..

اللهم جاف الأرض عن جنوبهم وصاعد اليك أرواحهم ولقهم منك رضواناً واسكن اليهم من رحمتك ما تصل به وحدتهم وتؤنس وحشتهم انك على كل شيء قدير .

وسؤل أيضاً أبي عبدالله عليه السلام عن كيفية التسليم قال تقول : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين رحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون .

# ـ المغاســـل ـ

نطلق على المغتسل في اللغة الدارجة « المغيسل » وهو مكان اعد لتغسيل أجساد الأموات قبل دفنهم ذلك حسب ما نصت الشريعة ويوجد منها في وادي السلام مغتسلان الأول هو المغتسل الشرقي وهو واسع يستقبل العشرات من الجنائز ، بنايته حديثة تنتهي اليه وسائط النقل ، وقد بنيت أمامه كازينو توفر الشاي والماء الى الزائرين والعاملين ويوجد مغتسل آخر الى أقصى جنوب غرب المقبرة أو شمال غرب المدينة تماماً ، وهو غير واسع ، وقديم وأقرب من الأول الى المدينة .

وقد صممت المغاسل بحيث يسهل على العاملين تغسيل الميت بسرعة ، فقد شيد في داخل غرفة واسعة عاليـــة السقف حوض كبير يملأ بالماء والى جانبي الحوض صخرتان طويلتان يوضع على كل واحدة جسد يصب عليه الماء من الحوض ويستخدم في التغسيل الكافور ، وان هناك في كل مغتسل غرفتين الاولى لتغسيل الذكور ويعمل بها الرجال واخرى لتغسيل الاناث وتعمل بها النساء ، وبالطبع ان تصميم الغرفتين وما فيهما من صخور وأحواض واحداً .

# مجمل احكام الشيعة فى غسل الميت

غسل الميت عندنا واجب ونستعمل الكافور مع الماء في الغسل ، اما تغطية العورة أثناء الغسل واجب أيضاً ، ويستمر المهتم بالتغسيل ، غسل عضو بعد آخر وتكرر الغسل وصب الماء الى ثلاث مرات وان غسل الميت أشبه بغسل الجنابة .

وعند الشيعة وجوب تغسيل من مات في الماء واستحباب توجيه الميت الى القبلة عند الغسل كالمحتضر وعدم وجوبه . واستحباب وضوء الميت قبل الغسل وعدم وجوبه .

ويستحب مباشرة غسل الميت عيناً والدعاء له بالمأثور .

جواز اظهار ما يشينه .

اظهار ما يشينه .

ويستحب رفق الغاسل بالميت وكراهة العنف به .

ويكره تغسيل الميت بماء اسخن بالنار إلا أن يخاف الغاسل على نفسه البرد .

ولا يجوز ازالة شيء من شعر الميت أو ظفره فان فعل جعله معه في الكفن وكراهة غمز مفاصله .

ان السقط اذا تم له أربعة أشهر غسل ، وان تم له ستة أشهر

فصاعدا فحكمه حكم غيره من الاموات .

ان المحرم اذا مات فهو كالمحل ، الا أنه لا يقرب كافوراً ولا غيره من الطيب ولا يحنط .

وللشهيد عند الشيعة في تغسيله أحكام ووجوب تغسيل كل ميت مسلم سواه .

ووجوب تغسيل من قتل في معصية وحكم جراحاته وقطع رأسه .

وانه اذا خيف تناثر جسد الميت أجزأ صب الماء عليه ان امكن وإلا اجزأ تيممه .

اما من وجب رجمه أو قتله قصاصاً ينبغي له أن يغتسل ويحنط ويلبس كفنه ويسقط ذلك بعد قتله .

وعدم جواز تغسيل المسلم الميت الكافر ولا دفنه ولا تكفينه ولو ذمياً ولو قرابة المسلم أو أباه وكذا البغاة .

وللشيعة أيضاً أحكام فى تغسيل الذمي المسلم اذا لم يحضره مسلم ولا مسلمة ذات رحم وكذا الذمية والمسلمة .

ويجوز تغسيل المرأة قرابتها من الرجال المحارم وكذا الرجل، واستحباب كونه من وراء الثوب .

ويسقط تغسيل المرأة مع عدم وجود امرأة ولا رجل ذي محرم وكذا الرجل .

ويستحب تغسيل الرجل المرأة التي لايوجد لها امرأة ولا ذو محرم من وراء الثوب بأن يصب عليها الماء اويغسل وجهها وكفيها أو تيممها وكذا الرجل .

ويجوز تغسيل المرأة ابن ثلاث سنين او أقل وتغسيل الرجل بنت ثلاث سنين أو أقل .

ويجوز تغسيل الرجل زوجته والمرأة زوجها واستحباب كونه من وراء الثوب .

ويجوز تغسيل ام الولد سيدها .

وان الميت يغسله اولى الناس به ، أو من يأمره الولي .

وعدم وجوب قدر المعين من الماء لغسل الميت .

وانه يستحب كثرة الماء في غسل الميت الى سبع قرب .

وانه يكره ارسال ماء غسل الميت في الكنيف ويجوز ارساله في البالوعة .

واجزاء الغسل الواحد للميت اذا كان جنبا أو حائضا وبين السماء .

وان الغسل الواحد يجزى الميت اذا كان جنباً أو حائضاً أو نفساء .

وعدم وجوب اعادة غسل الميت بخروج شيء منه بعده ووجوب غسل النجاسة خاصة .

وانه يجوز جعل الميت بين رجلي الغاسل اذا خاف سقوطه (١).

وجاء في الدرة النجفية للسيد مهدي بحر العلوم هذه الارجوزة التي وضح فيها بعضاً من سنن غسل الميت :

تغسيلك الميت فرض ملتزم
وان يكن سقطاً اذا ما الخلق تم
والبعض ذو العظم بحكم الجملة
وهكذا العظم فأوجب غسله
وفي الذي بان من الحي نظر
والأشبه النفي كما في المعتبر
وليس في الشهيد من غسل ولا
كفن كذا مقدم ليقتلا
وشرطه وقوعه من مسلم
مماثل صنفاً له ومحرم
وفي اضطرار غسل كافر روي
وهو على شهرته غير قوي
والستر للعورة منه قد وجب
والغسل من تحت الثياب يستحب

---

(١) للاطلاع على تفصيل هذه الأحكام راجع وسائل الشيعة للحر العاملي جـ ٢ ص ٦٧٨ — ٧٢٤ .

والقول بالوجوب في المحـــارم
لظاهر النصوص رأي جـازم

كذلك المنـع من التغســيل
حـال وجود الغاسل المثيل
وجايز تغســيل غير مثـل
ومحـرم في ســعة للطفـل
الى ثـلاث من سنيه والذكـر
يحتمل الخمس لنص قـد ندر
والغسل للميت كالحي اجعل
في كل شيء مـا سينجلي
غسله بالســدر وبالكـافور
وبالقـراح الخالص الطهـور
رتب لـه الأغسال حسبما ذكر
واستوعب الاعضاء في كل ومر
من رأســه لأيمن الشــقين
والايسر اغسل بعـد غسل ذين
ومن يخالف فليعد مؤخـرا
قـد قدم لا مقـدم قـد أخرا

ويسقط الترتيب في الأعضاء
برمسه في نحو كر ماء
يجزي المسمى في خليطين فما
زاد ولم يسلب من الماء اسم ما
فأن تعذرا فبالماء اكتف
مراعيا للعدد الموظف
والفرض ان تعذر الماء انتقل
الى صعيد طيب فهو البدل
وان كفى البعض فخص سابقاً
به على الترتيب واترك لاحقا
والأحوط التثليث والتكميل
من بدل ان فقد الأصيل
ويسقط الكافر لا الى بدل
في محرم يمنع ما للحل حل
وتلزم النية فى الأصل وما
ينوب في الأظهر عند العلما
وغسل ما اصابه من القذر
قبل الشروع واجب فيما اشتهر
ولو بدت نجاسة فلا يعد
غسل ويجزي غسلها من الجسد

# مجمل احكام تكفين الميت

وللشيعة جملة أحكام في تكفين الميت منها :

ان التكفين واجب ، وانه لعدد قطع الكفن أحكام ، وانه يستحب كون كافور الحنوط ثلاثة عشر درهماً وثلثاً لا أزيد أو أربعة مثاقيل ، أو مثقالاً ، رجلاً كان أو امرأة ، وانه يستحب تكفين الميت في ثوب كان يصلي فيه ويصوم . وانه يستحب تكفين الميت في ثوب كان يحرم فيه . وانه يكره تجمير الكفن ، وان يطيب بغير الكافور والذريرة كالمسك ، واتباع الميت بمجمرة ويستحب وضع الجريدتين الخضراوين مع الميت . ويستحب كون الجريدتين من النخل وإلا فمن السدر وإلا فمن الرمان وإلا فمن شجر رطب . وعدم اجزاء الجريدة اليابسة .

وللجريدة من حيث مقدارها وكيفية وضعها مع الميت أحكام . ويستحب وضع الجريدة كيف ما أمكن ولو في القبر أو عليه . ويستحب وضع التربة الحسينية مع الميت في الحنوط والكفن وفي القبر . ولعملية تكفين الميت عند الشيعة أحكام . وانه يستحب تطيب الميت بالكافور ، وانه يجب جعل الكافور على مساجد الميت وكراهة وضعه في مسامعه وفيه . ويكره وضع الحنوط على

النعش ، ويستحب اجادة الأكفان والمغالات فى ثمنها . ويستحب كون الكفن أبيض ومن القطن ويكره كونه من الكتان . ويكره أن يكون الكفن اسود ، وعدم جواز تكفين الميت في كسوة الكعبة ولا يجوز تكفين الميت في ثوب قز ممزوج بقطن مع زيادة القطن وعدم جواز التكفين في حرير محض . وللشيعة أحكام في كون الكفن قد أصابته نجاسة . ويستحب التبرع بكفن الميت المؤمن ويستحب اعداد الانسان كفنه وجعله معه في بيته ، وتكرار نظره اليه . ويستحب نزع أزرار القميص المعد للكفن دون أكمامه اذا كان ملبوسا واستحباب كونه غير مكفوف ولا مزرور وكراهة أن يجعل لما يبتدأ من الأكفان اكماماً . ويستحب كتابة اسم الميت على الكفن ، وانه يشهد أن لا إله إلا الله . ويستحب كتابة ما يتيسر من القرآن على الحبرة أو القرآن كله . وتكره المعاكسة في شراء الكفن ، ويجوز تجهيز المؤمن وتكفينه من الزكاة اذا لم يخلف مالاً ، فأن حصل له كفنان كفن بواحد كان الآخر لعياله ، ولم يلزم قضاء دينه به . واحكام اخرى يطول الحديث عنها وللاستزادة راجع كتاب وسائل الشيعة الجزء الثاني باب أحكام تكفين الميت .

## احكام الصلاة على الميت

وتتضح بارجوازة السيد مهدي بحر العلوم وهي :

صل على الميت فرضاً إن مضى

من سنه ست سنين إذ قضى

وسن فيمن دونـه اذا استهل
فيسقط السقط وان هو اكتمل
والوقت قبـل دفنـه فأن دفن
فاليوم والليـلة حـد قد ركن
وشرطهـا الحظور والاسـلام
وان يكن حكماً كـذا التمام
والصدر في الحكم كحكم الكل
فحيثمـا وجـدته فصـل
وكونـه مستلقياً ورأسـه
الى اليمين ليس يجـزي عكسه
فلتعد الصـلاة ما لم يدفن
ان وضعت رجلاه نحو الأيمن
وسبق تغسـيل وتكفين لمن
قد وجب الأمر آن فيـه او جبن
اما الشهيد والذي قدمنـا
فريضـة في الصـلاة فيهما
ولا تبـاعد عنـه بالكثير
عرفاً وجـاز البعـد باليسير
والمقتدي له الوقوف في طرف
والبعد بالصفوف أو طول صف

لغيره سن الوقوف فى الوسـط
من ذكر والصدر في الانثى انضبط
شرك اذا تعـــدد الجنـائز
أو خص والثاني لفرض جـائز
وقـدم الذكور والاحـرارا
اليك ندبا وكـذا الكبـارا
وان تعارضت فقـدم أولا
وأت بالخيـار فيما قد تلا
خير الصفوف الصلاة الأول
وفي الجنـائز الأخير أفضل
ولا تعـاد من مصلٍ متحد
أو غـيره من جامع أو منفـرد
ولا أرى منعا اذا لم يمنع
ما سن من تعجيله للمضجع
ولا سيما فيما لـه شأن عـلا
لمستفيض فيـه من نص جـلا

## عملية الدفن

الدفن هو عمليـــة مواراة الميت بين طيـات الارض . والطريقة الشائعة في حفر القبور في وادي السلام هي المباشرة

أولاً في الحفر عمودياً لعمق يتفاوت بين قبر وآخر وذلك تبعاً لطبيعة الأرض وازدحام جوانبه بالأموات . وان اقصى ما يصل الحفر هو مترين ونصف المتر ، والحفر عمودياً يعد لغرض ادخال الميت فقط ويحفر ثانياً بصورة افقية عند قعر التجويف الأول والى جانبه العريض تجويفاً بعرض الانسان وطوله ليستقر فيه . وهكذا يدخل جسد الانسان عن طريق التجويف الأول ليستقر نهائياً في التجويف الثاني ، ويبدأ عند ذلك مساعد الدفان الذي يقف في اعلى القبر لاستلام التراب من الدفان أثناء الحفر ، بجمع الحجارة ليناولها الى الدفان ويقوم الأخير بتكديسها لتفصل ما بين التجويف الأول العمودي والثاني الأفقي ، ثم يهال التراب عند تمام العملية لملأ التجويف العمودي .

والدفان عند وضعه الميت في محله النهائي يجعل رأسه نحو الغرب فاتحاً عقد كفنه وواضعاً خده على التراب ، والوضعية هذه تسمح بأن يكون وجه المتوفى شطر بيت الله الحرام ، ذلك بحكم موقع النجف الى شمال جزيرة العرب .

## بعض سنن الشيعة في الدفن

الدفن واجب .

ويستحب في الدفن حفر القبر عيناً .

ويستحب بذل الأرض المملوكة ليدفن فيها المؤمن .

ويستحب الدفن في الحرم ونقل الميت اليه والى المشاهد المشرفة ليدفن فيها ، والزيارة بالميت ، فأن كل جنازة تصل النجف تدخل الى الضريح الشريف وتزور ويطاف بها مرتين أو ثلاث حول المرقد الطاهر مرقد علي عليه السلام .

ويجوز الشق واللحد ، ويستحب اختيار اللحد .

ويستحب وضع الميت دون القبر بذراعين أو ثلاثة ونقله مرتين ، ودفنه في الثالثة .

ويستحب لمن ادخل الميت القبر أن يحل أزراره ويخلع النعلين والعمامة والرداء والخف إلا مع الضرورة .

ويستحب حل عقد الكفن وجعل وسادة من التراب تحت خد الميت وكشف وجهه .

ويستحب ادخال الميت القبر من ناحية الرجلين ، لكن المتبع في الدفن هنا في وادي السلام هو انزال الميت من ناحية رأسه .

ويجوز وضع اللبن والآجر على القبر .

هذا وان هناك أحكام اخرى كثيرة شرعت لصالح الميت بينا أكثرها باقتضاب دون شرح .

# ذكر المقبرة فى كتب الرحلات

قد أوجز محمد ثابت الرحالة المصري عند وصوله النجف عن وادي السلام قولاً ، وذكر انه ( بعد ان أدى الزيارة وخرج يطوف حول الحرم ، شاهد مقابر تمتد الى الآفاق من قباب فاخرة الى أضرحة بسيطة لايواء الآلاف من الجثث التي كان يراها تنقل على السيارات والأكتاف من الآفاق الاسلامية وبخاصة العراق وفارس ، وادعى إنه قد ذكر له العلماء ان المدافن عشرة آلاف لا تزيد ولا تنقص ، لأن سيدنا علياً يرسل ما زاد من الجثث بعيداً ، فلا يعرف أحد مقرها ) . اما الذي اعتقده فهو ان محمد ثابت لم يتأمل جيداً ما رواه له العلماء الذين اتصل بهم أو انهم لم يرووا له صحيح الروايات وأود لو أنه قرأ كتابي هذا عن وادي السلام ان كان اليوم حياً يرزق حتى يطلع على كل مزايا شأن الدفن في النجف وتأريخ وادي السلام على حقيقته التي لا يشوبها ريب . فان المقبرة يا صاحبي تضم كل الجثث التي تدفن بها وان علياً عليه السلام كفيل بحماية من يجاوره كما ان الروايات الكثيرة المسنده دلت على ان جميع الأرواح المؤمنة الخيرة تنادى للالتحاق بالنجف لتحشر في وادي السلام لأنـه محشر جميع

الأرواح . واستأنف محمد ثابت القول وذكر ( ان المقابر تباع بأثمان هي الموارد الرئيسية للحرم ) ألا ترى ان ما يذكره محمد ثابت يثير الدهشة والعجب ، لا أدري كيف صاغ الحديث هذا ؟ وماذا يأمل مني — وأنا عشت النجف سنين — عندما أقرأ عن مدينتي هذه الأمور التي لا تمس الواقع بشيء ، ان احكم على بقية رحلاته التي جاب فيها ربوع آسيا واستراليا وأوربا والامريكتين (العالم الجديد)وربوع أفريقيا حيث يسردلي ولغيري امورا تأريخية وجغرافية وما يتبعها بعيدة عني كل البعد . الحقيقة تقول ان موارد الحرم الشريف غير مستمدة أبدا من أثمان القبور، سوى ان الأثمان هذه تعود الى المتكلفين بالدفن كمورد لمعيشتهم.

واستمر محمد ثابت على الحديث ذاكرا ( ان قيمة الدفن تختلف حسب قدسية الموقع ) وقد أشار أيضا الى ان المدفن العام وهو وادي السلام،وبين ...ان ثمن الدفن أربعون قرشا وفي المدفن الخاص نحو جنيهين اما قرب الحرم وما يلاصقه من أرض فلا تقل قيمته عن ستين جنيها ، ومن هذا يستفيد أهل النجف من مستلزمات الدفن ، وكم من جثث كانت تحملها السيارات وافدة من كل فج ، وبعد الغسل يطاف بها حول الحرم ، وبعد الصلاة عليها تدفن وتظل كذلك حتى يتراءى لسيدنا علي ان يكشف عن مكنونها ويدفن فى مكانها ... وحري بنا التعليق على عبارة

الرحالة محمد ثابت الأخيرة ، في كون سيدنا ومولانا علي (ع) ينقل الجثث ويكشف عن مكنونها بأنه كيف ساغ لنفسه أن يتحدث في الناس هذا الحديث ، ثم انه من أي مصدر آتى به ؟ فقد بحثت في كتب جمة تكتب عن النجف والامام والدفن والمحشر فلم أجد ما يشير الى ما قاله أبداً كما انه لم يتحدث لي من أولي المعرفة في النجف عن هذا الشأن أبداً .. وأخيراً لا أبدي غير الرجاء للأخ الرحالة وغيره من الناس الذين كرسوا حياتهم في جوب أرجاء الأرض وتدوين وتصوير ما بعد عن مرأى ومسمع الجيل ، في ان يكون همهم اقتناء الحقائق وتدوينها بتيقظ وحذر وليكن هدفهم خدمة المعرفة والمثل .

اما محمد وجدي قنديل موفد مجلة آخر ساعة فقد قال عن المقبرة عندما زار العتبات المقدسة ليظهر الى الملأ عظمة الاسلام : ( هذه هي المقبرة العظمى التي تحيط بالعتبات المقدسة ، يدفن فيها أي شيعي يموت في أي مكان في العالم ، ومساحتها ٣٥ كيلو متراً مربعاً ، وتضم ملايين الأحياء وعمرها الف سنة ) .

ولم تشر مدام ديولافوا في رحلتها الى العراق الى وادي السلام ، لكنها كتبت في كتابها عن وسائل نقل الموتى الى النجف وكربلاء في الوقت الذي جاءت فيه الى العراق ، وأشارت الى ان نقل الاموات يتم أكثره بواسطة قوافل تعد من الحمير لهذه

الغاية وزينت الصفحة التي أوضحت فيها عن هذه الناحية بصورة تمثل قافلة من الحمير تنقل الأموات صوب النجف .

## ما قيل في المقبرة من شعر ونثر

لقد فتشت في كتب التأريخ والأدب ملياً باحثاً على نثر حسن رصين وشعر جميل رائع قيل في ذكر وادي السلام وبالغ حكمته ، فلم أعثر إلا على قصيدة للاستاذ علي الشرقي ، وكلمة طريفة للاستاذ محمد حسين المقرم، وقصيدة للشيخ عبدالمنعم الفرطوسي.

ثم تهيأ لي قبل البدء بكتابة هذا الفصل من الكتاب ، الاجتماع مع الشاعر الموهوب والأديب الكاتب المنتج محمد الخليلي في مقبرة أجداده ، ودار الحديث بيننا ، والذي يعرف الخليلي يستطيع أن يقدر مدى ما كان يشوب الحديث من عذوبة وطلاوة ورقة وبهجة ومرح ، تلك هي سجيته في التحدث مع الناس حفظه الله . وما كان منه حين علم بموضوعي الذي بين يديك ، حتى أتحفني بقصيدة اقرأها وقل عنها ما شئت من نعوت، وكان عنوانها:

### ـ وادي السلام

حي وادي السلام وادي الأمان
بلغت فيـــه ساكنوه الأماني
جاور المرقـــد الشريف فنـــال
الفضل من دون سائر الوديان

وانتمى للغري فازداد فخراً
وتسامى عـلاً على كيوان
فتراه والقلب يرتاح فيـه
مثـل روض بزهـره مزدان
فكأن القبور فيـه قصـور
وكأن السموم نفح الجنـان
وكأن الحصباء فيـه درارٍ
نثرت فوق تربـة الزعفران
ليت شعري وكل قبر سواه
"مكمـد" للفؤاد بالأحـزان
كيف امسى وادي السلام وأضحى
يتسلى فيـه عن الأشـجان
فأجبني عن سر هذا المعمّى
عن طريق المعقول والوجـدان

***

وقابلت صديقا لي صدوقا هو الاستاذ الاديب حميد نجل العالم التقي الورع الشيخ محمد رضا فرج الله، حفظهما الله، الذي قلما يصرفه عني ويصرفني عنه انشغال في واجب لا محيص من أدائه . تطلعت اليه فوجدته هو ذاك هشاً بشاً بغيته الاستفادة من عوائد

المعارف ، ليست الدنيا همته بل روحه التي هي مناط شرفه وكرمه والمرء بالروح لا بالجسم انسان . وما ان تعرف على الكتاب وتطلع على فصوله حتى انبرى قائلا ،سيهدي حميد" الى أخيه المظفر قصيدة ، ومضى من عهدنا في الحياة اسبوع ،كان به قد نظم كل ما أراد نظمه ، جالبه الي" قائلا" هذه وقفة على مقبرة وادي السلام تناولتها واذا هي قصيدة عصماء متينة العبارة ثابتة المعنى ، تنبض بالايمان والحكمة ، وفي جوانب منها اشارة الى ما ينبغي للانسان حيال أخيه الانسان في حياة يبهج زخرفها وهي دار اقامة .

حقا ليس بالامكان قياس مدى فتنة الدنيا وغرورها ،والا كيف تتشبث بآمالها وهي زائلة ؟! وكيف نعتز بها ولا نفتر من اقتحام لجتها ، وقد اقتحم ذلك ناس قبلنا فباؤا بفشل منها ؟ خرجوا منها كما دخلوا فيها وفارقوها وارتحلوا عنها ...

وهذه هي رائعة حميد فرج الله :

## وقفة على وادي السلام

وقفت وقـد هالني الموقف
فجفت على شفتي الأحـرف

أجلت النواظـر فى بقعـةٍ
مداها من البعـد لا يعرف
تصورت كم ضم هذا الأديم
جموعاً من الناس لا توصف
فكم من ملوكٍ أقاموا القصور
فعافوا القصورَ وما زخرفوا
وكم عالم ضم هـذا الثرى
وكم شاعر حسه مرهفُ
وكم من فتى حُطَّ في رمسه
ومن غـادة قـدها أهيف
وكم من صحيح طواه الفنـاء
يوارى الى جنبـه مدنف
عوالم قـد ووريت هاهنـا
وجيـل على آخر يرصف

***

تأملت لم كل هذي الحشود
الى مستقر هنـا تزحف

وما السر في نقل أجداثها
اليــه وفي تربه تقــذف

فتطوي المسافات عبر الحدود
ويأتي الغري بهــا الموجف

وهذي الملايين مر القرون
كأن الغــري لها متحف

تأملت حتى كأني سكرت
ومــا لامست شفتي القرقف

فصوتٌ في مسمعي هــاتف
بذكر امام الهــدى يهتف !

ولاحت على خاطري صــورة
وعنوانهــا النجف الأشرف

تشــــعُ بآفاقهــــا قبةٌ
علت شرفا دونهــا الاوطف

تعالت لتحضن وادي السلام
وتدرك من جاء يستعطفُ

ومدت على الراقدين الضلال
كــأم على صبية تعكف

سمت باسم حيـدرة رفعة
وجلت عن الوصف اذ توصف
فأضحى الغري بهـا غـادة
وكل موالٍ بها يكلف
تسير الجموع الى تربـة
لعسجد خصـبائه ترشفُ
فمن جاور المرتضى حيـدراً
بيوم الجزاء غدا ينصف

***

أيا مَن رحلتم لدار البقاء
ألا حدثوا ما هو الموقفُ
وكيف الحياة بتلك الدنى
أجيبوا وماذا رأيتم صفوا
أبينكم سائد أو مسـود
أفيـكم قوي ومستضعف
أبينـكم من يرى حقـه
وقـد غاله مجرم مجحف
فان ضج حرٌ من الظالمين
نـراه بأقيـاده يرسفُ

وهــل فيكم واحــد يستبد
لقــوت المــلايين يستنزف

وهل بينكم أسود تلتوي
عليه السياط فلا ينصف

أعندكم مثــل ما عنــدنا
ديار على أهلهــا تقصف

أجيبوا فأنا لمـــا ينطوي
عليــه جوابكم نهـــدف

أيا من حللتم بدنيا الخلود
أجيبوا وعما هناك اكشفوا

وقولوا لنا كيف تلك الحياة
وكيف يعيش الالى شرّفوا

وكيف رياض الجنان أزدهت
كأن القصور بهــا زخرف

ورضوان يستقبل الوافدين
اليهــا ومــرآه يستوقف

وكوثرهــا رائق عـــذبه
ومن يرتوي منــه لا يتلف

بهــا الحور تمرح في زهوها
خفــافاً وولدانهــا تهتف

تقوم بما يأمر الصالحون
على أمرِ أهل التقى تشرف
وكيف الجبـابرة الملحدون
تكب بنـار الغضا تقذف
وكيف السـعير بأهوالهـا
يساق اليهـا الالى أرجفوا
ومهما يزيدُ عديد الطغـاة
جهنـم في هولهـا تلقف
أزيز لهـا يستفز النفوس
قلوب الطغاة لـه تنزف
يدوّي فليس لـه هـدأة
وما انفكت النـار تستأنف
ألا حدثوا أيهـا الراحلون
وقولوا عسى يهتدي مدنف
وعل الذي راح في غيـه
يؤوب الى الحق لا يسرف

* * *

أيا موت أقصر وخلِ الفخار
فمـا ضائر الخير مـا تلقف

فما الجسم الا تراب يعود
الى أصـــله ثم يستخلف
وان الحيـــاة حياة النفوس
اذا اتشحت بالهـــدى تشرف
وان الأنـــام بآثارهـــــا
وفي ما تخـلده تعـــرف
فما مات من إرثه الطيبـــات
وإن لفه الجدث الأخوف
وما خاف من ضـــم جثمـــانه
تراب بوادي الحمى ألطف
تقدست من بقعـــةٍ بالغري
وليس سوى أرضهـــا نألف
تباركت مذ كنت مر الدهور
وحتى القيـــامة اذ تأزف
وما قيل في ذكر وادي السلام
هو الآي تتلوه والمصحف
فبورك ما خط في ذكـــره
ومـــا دونوه ومـــا ألفوا
وبورك ما خطه (محسن)
شفيعاً اذا انعقـــد الموقف

وهذه رائعة الفاضل علي الشرقي في ذكر وادي السلام :

سل الحجر الصوان والأثر البادي
خليلي كم جيل قد احتضن الوادي
فيا صيحة الأجيـــال فيه اذا دعت
ملايـين آباء ملايـين أولاد
ثلاثون جيلا قـد ثوت في قراره
تزاحم في عـرب وفرس وأكـراد
وكم كومة للترب من حول كومة
معلمة هـذا الزعيم وذ الهـادي
وما الربوات البيض في أيمن الحمى
وقـد خشعت الاناضد أكباد
خليلي هجساً واختلاساً بخطوكم
فلم تطؤا الا مراقـــد رقاد
فذوا الزهو خلى الزهو وقد ثوى
وظلت على الغبرا سيادة أسياد
فكم من هموم فى التراب وهمـة
وكم طويت فيـه شمائل امجـاد
اعقبـاك يا دنيـا قميص وطمرة
بحفرة أرض من خرابات زهـاد

عبرت على الوادي فسفت عجاجة
فكم من بلاد في الغبـــار وكم ناد

وابقيت لم انفض على الرأس تربه
لأرفع تكريماً على الرأس أجدادي

ذهبنا الى القـــلال نسعى كـــرامة
اتقبل اجـــدادي زيارة احفاد

وهل رادع للناس عن كسر قـــلة
اذا عرفوها من ظلوع وأعضاد

وجئنـــا لحي يضربون قبـــابهم
على رائح عن حيهم وعلى الغادي

قباب عليها استهزء الدهر ما بهـــا
سوى الحجر المدفون والحجر البادي

ألا أيها الركب المجمجع في الحمى
الى أين مسرى ضعنكم ومن الحادي

حدوج عليهـــا روعـــة فكأنها
وقد سجدوا فيها محاريب عباد

غداً تنبت الاجساد عشبا على الثرى
فهـــل تطلع الأرواح مطلع أوراد

وهل لعبت في الراقـدين حلومهم
بأطياف أفراح وأطيـاف أنكاد
محال على الأرواح دفن بتربة
ولكنما هـذي القبور لأجساد
مضت نشأة الأرحـام فى ظلماتهـا
وأضوء منها نشأتي بعد ميلادي
ولي نشأة أجلى واعلى فأنني
لتهيئـة في النشأتين واعـداد
فما هذه الأجساد من بعـد نزعها
سوى قفص خال وقد افلت الشادي
طبـاع الفتى فردوسه أو جحيمـه
وفي طي أخلاقي نشوري وميعادي

ووصف الاستاذ محمد حسين المقرم وادي السلام باسلوب رقيق مؤثر ونشر ما قال عنه في مجلة البذرة قال : « وادي السلام في النجف وادٍ وسيع الأرجاء مترامي الأطراف ، فيه الوف القبور ما بين قائم الرسم ومندثره ، رقدت فيها الدهور والآباد ، وسكنت في طواياه ملايين من بني الانسان ... وادٍ يبعث الروع والوجل في الافئدة من تلك القبور الماثلة دكاكها تتمثل المنايا مكشرة عن أنيابها ، فأي قلب لا ينفر أو أي صدر لا يخرج من أعماقه تنهداته

وحسراته ! وما أصدق الشاعر بقوله :

سر ان استطعت في الهواء رويداً

لا اختيالاً على رفات العبـاد

فكم من جناجن صدر طحنت وكم من اشلاء ابليت فكان منها تراب .

هذا الوادي الأثري اذن ، فما اطهرها من تربة وأنقاها !! بالموت تخضد شوكة الانسان ، فالنفس الصعبة المراس القوية الشكيمة تخضع ذلاً واستكانة عند جبروت الموت فتساوي تلك النفوس في ملكة وفي ديمقراطية سلطانه ... في الأرماس المزدحمة في هذا الوادي هدأت النفوس في سباتها العميق بعد ان اتعبتها الايام ، فالشاعر الذي كان ينفح الناس بعبقاته ويشيع في الامة روحه الفذة ، والعالم الذي كانت تزدحم الأفكار والحقائق في دماغه وأفاد الامة بسديد آرائه وناضج أفكاره ، والفنان الذي صور الحياة ببأسائها وتعسائها ، والزاهد الذي عزف عن متع الحياة وصدف عن متعها ، فمضى لسبيل ربه نقي السريرة طاهر الضمير ولم يتحمل آثام المجتمع ، هؤلاء كلهم جروا في مضامير الحياة وعند مرحلة كانت هدأتهم الأخيرة :

ضجعة الموت رقـدة يستريح

الجسم فيها والعيش مثل السهاد

رفرفي يا ملائكة الرحمة بأجنحتك الخفية على هذه الأجساد

المتعبة وحلقي بنفوسها الى سماء القدس وأستقري بها في رياض السندس .

حلقي بها الى حيث الأزل والنعم فأنها حرية بالنعيم والخلود فيا وادي السلام كم ضممت بين جوانحك أرواحاً صغيرة ، ففي حفرك المظلمة توسد التراب رجال أعزة أذلة فأولئك أعزة بأعمالهم الصالحات ، أعمالهم تركوها غرراً ناصعة على جبين الدهر وهؤلاء هم للخلود ولهم حميد الذكرى ، اذ المرء بأعماله وبما خلف ، وهؤلاء أذلة بمقترفاتهم الطالحات مقترفات رانت على افئدتهم وما لهم إلا سوء المنقلب !

في أضمار حفرك سكن الأجداد والآباء وركنوا عالم الهدوء والسكون حيث لاعراك ولا ملاحات .

فيك أيها القبر الغني المجدد والفقير المكدود المحروب فلا القصر الشامخ المتطاول ولا الكوخ الحقير المتواضع وانما هي ضراعة القبر .

أيها الوادي انما انت شبح ماثل للعظة والعبرة رسم قائم للحزن والخشوع ، تعلو الصيحة من جنباتك والصراخ يسمع من كل ناحية منك ، فتلك تندب شجواً ولدها فى ميعة الصبا اخترمه الموت فذوى غصنه الرطيب ، وكانت ترتجيه يجلو لها حلكة الدنيا بجبينها الوضي ... واخرى تنحب أخاً كانت تأمله الساعد القوي في كشف ضراء الدنيا فهي ترسل الدموع مدراراً من ذوب القلب

فتسقط على تراب قبره فتضيع بين طيات التراب ... واخرى مكبة على قبر تشمه وهي تبكي حظها العاثر وتنثر دررا ناصعة وفي الأحشاء نار لا يخبو أوارها تبكي حبيباً عصره الردى فطواه بين دفتي القبر وهي ما تزال على هذا الدأب حتى تأخذ الشمس بلم أذيالها عن الكون فتقفل راجعة الى البيت » .

وهذه قصيدة الأديب المعروف الفاضل الشيخ عبدالمنعم الفرطوسي ، في ذكر وادي السلام وفضل تربته :

على الذكوات البيض من جانب الوادي
قفا ساعةً واستنطقا الأثرَ البادي
فكم فيه معنىً لا يفي ببيانهِ
لسان فصيحٍ أو يراعةُ نقّاد
وكم عبرة خرسا بها نطق البلى
فأفصح تبياناً على غير معتاد

***

خليليَّ ما هذا البيانُ فأنني
أرى الصخرة الصماء تعرب كالشادي
وذي صفحة الوادي ينمُّ عبيرها
بما قد حوتهُ من زهورٍ وأوراد
وكم ربوةٍ للرمل ماج أديمها
بلألاء ثغرٍ قد تناثر في الوادي

ولحدٍ على حافاته قـد تعطّفت
حنـايا ضلوعٍ من قوائم أجساد
وقفت عليه والأسى يبعث الأسى
فهاجت بنفسي زفرةٌ ذات إيقـاد
وقد جلّل الوادي الرهيبُ وما بـه
بروعة إجـلالٍ لهـا أثرٌ بادي
هنالك لو شاهدت أروع منظرٍ
بروعتـهِ شعري تردّى وإنشادي
سكون عميقٌ قـد تخللَ بينـهُ
صدى صيحةٍ يعتاد ترديدها الحادي
وقد جثمت تلك التماثيل حولـه
ومالت أعاليها خشوعاً كأجيـاد
وكم بعثرت من حول هاتيك كومةٌ
تزاحم في طيّاتهـا أيُّ أضداد
وكم حفرةٍ قد أدرجوا في قرارها
مواهب أفـذاذٍ واخلاق أمجـاد
فيا صفحة الوادي وأنت سـجله
أتدرين كم مرت قرونٌ على الوادي
وكم قـد تلاشت في ثراه مفارقٌ
وكم طويت فيه أكاليـلُ أسياد

وكم صولجان قـد تداعى كيانهُ
به وعروشٍ دكها الزمنُ العادي
ورب لسانٍ مفصح عاد أخرساً
وخانتـهُ للتعبير قـوّةُ إيجـاد
وكان محالاً عنـده الصمت فاغتدى
لسلطانه الجبّـارِ أطوع منقـاد
فهل طويت منـه الفصاحة في الثرى
وهل أخمدت في اثرها روعة النادي
سـلامٌ على الوادي على ذكواتـه
ومن حلّ فيـه من ضيوف ووفاد
على تربة منهـا الصبا قـد تعطرت
فرائحهـا الفياح يعبق كالغـادي
على صفحة الوادي وموجة رملهِ
وآمـال آبـاءٍ وأحـلام أولاد
وقارورةٍ من أدمعٍ قـد تكسرت
لامٍ رؤومٍ فوق زهرةِ أكباد
ويا تربة الوادي السلام قرارهـا
ومن حبها في كل قلب هوىً بادي
سقاك الحيا من تربة قـد ترعرعت
على حبّها نفسٍ بساعة ميـلادي

علقت بهـا طول الحيـاة وإنني
سأبعث مقروناً بهـا يوم ميعادي

## وأخـيرا ...
## للمقبرة مشاكل لابد من حلها

ان هذه المقبرة الاسلامية العظيمة ، التي تضم رفات ملايين الأجساد من أقاصي العالم الاسلامي وأدانيـه ، لها علينا حق لا مناص من أدائه . فللمقبرة التي تحدثنا عنها بمقدار حقق المراد لها من المشاكل عدة لابد من حل أهمها وهي :

١ ــ ضيق المقبرة : اذ انها اليوم أضحت مزدحمة بالأموات أيما ازدحام فلو توسعت من الجهة الشمالية ، حيث لا عائق للتوسيع لتضاءلت هذه المشكلة .

٢ ــ تخصيص الدفن وتعيينه : اذ ان كل ميت يدفنوه فى البقعة التي دفن فيها من مضى من أفراد عائلته حتى ولو كانت تلك البقعة مزدحمة ولا مجال لذلك الدفن . فبدت المقبرة مزدحمة بالأجداث في جوانب ، وغير ذلك في جوانب اخرى . ولو حاول الناس دفن موتاهم لا على التعيين ، أي يدفنوا حيث يسمح المجال للدفن ، لاختفت هذه الظاهرة .

٣ ـ تسوير المقبرة بعد توسيعها : وتحتاج المقبرة الى تسوير من جميع جوانبها لتكون معزولة على احسن وجه عما يجاورها .

٤ ـ تشجير بعض أطرافها ان أمكن ذلك ...

٥ ـ لا بأس بالاهتمام في أمر حراستها بواسطة أفراد حكوميين .

حقاً ان هذه المقبرة الاسلامية تستحق كل عناية ، وقد نصت كتب التأريخ وروت في شرفها ومكانتها ومكانة من وري فيها ، وكان لنا في ذلك حديث اسهبنا القول فيه .

فلو حقق للمقبرة الامور التي اسلفنا واكثر منها لكانت تحفة تأريخية رائعة ، وحكمة بالغة ليس من حكمة أبلغ منها في النفس تأثير . ـ والحمد لله رب العالمين ـ .

محسن عبدالصاحب المظفر

النجف الأشرف ـ سنة ١٩٦٤

# مراجع البحث

١ ــ الأنوار الحسينية والشعائر الاسلامية ــ مطبعة هور بمبئي سنة ١٣٤٦ ــ للشيخ عبدالرضا كاشف الغطاء النجفي .

٢ ــ شعراء الغري ــ جـ ١ ــ لعلي الخاقاني .

٣ ــ عنوان الشرف في وشي النجف ــ للشيخ محمد بن طاهر السماوي رحمه الله ــ ١٣٦٠ هـ الطبعة الأولى .

٤ ــ كتاب سفينة البحار ١ ، ٢ .

٥ ــ ارشاد القلوب للديلمي .

٦ ــ ماضي النجف وحاضرها للمرحوم العلامة المؤرخ جعفر محبوبة رحمه الله .

٧ ــ وسائل الشيعة ــ محمد بن حر العاملي جـ ٢

٨ ــ معجم القبور جـ ١ للسيد محمد مهدي الموسوي الأصفهاني الكاظمي مطبعة النجاح ــ بغداد سنة ١٩٣٩ .

٩ ــ مشهد الامام أو مدينة النجف لمحمد علي التميمي .

١٠ ــ فرحة الغري لابن طاووس رحمه الله .

١١ ــ تحفة العالم في شرح خطبة المعالم للسيد جعفر بحر العلوم ١٣٥٤ هـ

١٢ ــ معجم البلدان •
١٣ ــ هكذا عرفتهم ــ جعفر الخليلي •
١٤ ــ نزهة الغري •
١٥ ــ جولة في ربوع الشرق الأدنى للرحالة محمد ثابت •
١٦ ــ الأرض والتربة الحسينية ــ للعلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمه الله ــ طبعة ثانية •
١٧ ــ جغرافية العراق وتأريخه القديم ــ عبدالرزاق سعيد البغدادي النجفي ــ الطبعة الأولى ١٩٣٩ •
١٨ ــ حلية المتقين في الزيارات ــ للسيد عبدالله شبر رحمه الله ( مخطوط وهو من محتويات المكتبة الشبرية للخطيب السيد جواد شبر ) •
١٩ ــ رحلة ابن جبير ــ دار صادر بيروت ١٩٥٩ •
٢٠ ــ كامل الزيارة ــ لابن قولويه •
٢١ ــ كفاية الطالب ــ للشافعي الكنجي •
٢٢ ــ مجمع البيان ــ جـ ٣ للطبرسي •
٢٣ ــ بشارة الزائرين ــ لعبد الحسين مبارك •
٢٤ ــ الديانات في أفريقيا السوداء •
٢٥ ــ جولة في ربوع آسيا ــ محمد ثابت مكتبة النهضة سنة ١٩٣٦ •

٢٦ ــ الدرة النجفية ــ تأليف السيد مهدي بحر العلوم .

٢٧ ــ تأريخ الكوفة للبراقي .

٢٨ ــ نزهة المحبين في فضائل أمير المؤمنين أو أشعة الأنوار في فضل حيدر الكرار .

٢٩ ــ الحجة البالغة للشيعة في جواز نقل الموتى في الشريعة تأليف السيد صادق الحسني البغدادي ــ مطبعة الغري ١٩٥٥ .

٣٠ ــ كتاب التصديقة « فيه أدعية تقرأ في الفواتح على الأموات » .

٣١ ــ مجلة العربي ــ العدد الاول ــ الكويت ــ .

٣٢ ــ مجلة البذرة ــ العدد الثامن سنة ١٩٥٠ .

٣٣ ــ مجلة الغري ــ العدد ٧ ــ ٨ سنة ١٩٥٦ .

٣٤ ــ مجلة الاعتدال .

٣٥ ــ آخر ساعة ــ العدد ١٢٥١ ــ سنة ١٩٥٨ .

٣٦ ــ تأريخ النجف ــ مخطوط ــ الجزء الأول للاستاذ عبدالرحيم محمد علي .

٣٧ ــ منتهى المقال .

٣٨ ــ روضات الجنان .

٣٩ ــ طبقات ابن سعد « القسم الاول من البدريين

ص ١١٨ » .

٤٠ ــ عمدة الطالب .

٤١ ــ مجالس المؤمنين .

٤٢ ــ تأريخ ابن الأثير .

٤٣ ــ كتاب الاسلام دين ودولة ــ تأليف السيد جواد شبر مخطوط ــ في المكتبة الشبرية .

٤٤ ــ مجلة العرفان ــ المجلد الثالث ــ ١٩١١ .

٤٥ ــ مهج الدعوات ــ للسيد الطاووس .

٤٦ ــ الفقه على المذاهب الأربعة .

٤٧ ــ قصص الأنبياء .

٤٨ ــ عقائد الامامية ــ للشيخ محمد رضا المظفر رحمه الله .

٤٩ ــ رسالة الاسلام ــ العدد ٥٠ ، ١٩٦٢ ــ القاهرة .

٥٠ ــ كشكول البحراني جـ ١ .

٥١ ــ الثورة العراقية ١٩٣٠ .

٥٢ ــ رحلة مدام ديفولوا .

٥٣ ــ مشهد الامام ــ أو مدينة النجف ــ جـ ٣ ، جـ ٤ . محمد علي جعفر التميمي ــ سنة ١٩٥٧ المطبعة الحيدرية .

٥٤ ــ كشف الظنون جـ ٢ .

٥٥ ــ أعيان الشيعة جـ ٧ ــ السيد محسن الأمين العاملي .

٥٦ ــ الحصون المنيعة جـ ١ ــ للشيخ علي كاشف الغطاء مخطوط في مكتبته .

٥٧ ــ أحسن الوديعة جـ ٢ للشيخ محمد مهدي الاصفهاني .

٥٨ ــ معجم رجال الفكر والأدب ، خلال الف عام في النجف ــ للشيخ محمد هادي الاميني ــ مخطوط .

٥٩ ــ معجم المؤلفين جـ ٢ ــ عمر رضا كحالة .

٦٠ ــ مصفى المقال ــ أغا بزرك الطهراني .

٦١ ــ مصادر الدراسة عن الشيخ الطوسي ــ القسم الثاني محمد هادي الأميني ١٩٦٣ .

٦٢ ــ طبقات أعلام الشيعة جـ ١ ــ للعلامة والمؤرخ الكبير أغا بزرك .

٦٣ ــ المستدرك جـ ٣ ــ للشيخ النوري .

٦٤ ــ الذريعة في تصانيف الشيعة جـ ٦ ــ للشيخ أغا بزرك الطهراني ــ حفظه الله .

٦٥ ــ الفوائد الرضوية ــ للشيخ عباس القمي .

٦٦ ــ ديوان الفرطوسي جـ ١ عبدالمنعم الفرطوسي . مطبعة الغري الحديثة النجف ١٩٥٧ .

٦٧ ــ الغدير جـ ٥ ــ للشيخ عبدالحسين الأميني .

٦٨ ــ الفقه على المذاهب الأربعة جـ ١ .

٦٩ ــ المنهاج الطبوع بهامش شرحه •
٧٠ ــ المغني ــ محي الدين الشافعي جـ ١
٧١ ــ الملل والنحل ــ للشهرستاني ــ هامش الفصل •
٧٢ ــ شرح الشمايل ــ للقاري •
٧٣ ــ شرح الشمايل للمناوي جـ ٢ •
٧٤ ــ السيرة الحلبية ــ جـ ٢ •
٧٥ ــ الصواعق المحرقة •
٧٦ ــ تأريخ الطبري جـ ١ •
٧٧ ــ العرائس ــ للثعلبي •
٧٨ ــ حاشية أبي الاخلاص الحنفي ــ جـ ١ •
٧٩ ــ محاضرة الأوائل ــ للسكتواري •
٨٠ ــ تمام المتون ــ للصفدي •

# ثبت الكتـاب


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| المقدمة | ٤ |
| تمهيد | ٩ |
| كيف يواري الناس أمواتهم | ١١ |
| المقبرة في هدوئها وصمتها حكمة بالغة | ١٩ |
| المقبرة في التأريخ | ٤٥ |
| لماذا سميت بوادي السلام ؟ | ٤٨ |
| هل بالامكان معرفة اول انسان دفن في النجف ؟ | ٤٩ |
| موقع المقبرة | ٥٨ |
| شكل المقبرة قديما وحديثا ولماذا أتخذت هذا المكان بالذات | ٥٨ |
| التطور الملموس في اشكال القبور | ٦٣ |
| ماذا قيل في أمر جواز البناء على القبور وعدمه ؟ | ٦٥ |
| تربة المقبرة وهواؤها ومزية الدفن فيها | ٦٨ |
| المراقد والمقامات المشرفة التي تضمها المقبرة | ٨٢ |
| أ ــ مقام المهدي ( ع ) | ٨٢ |
| ب ــ مرقدا هود وصالح ( ع ) | ٨٣ |
| ج ــ مراقد ومقامات اخرى | ٨٦ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| المشاهير الذين دفنوا في النجف | ٨٨ |
| أ ــ الانبياء | ٨٨ |
| ب صحابة الرسول ( ص ) | ٨٨ |
| جـ ــ بعض اصحاب علي ( ع ) | ٩٥ |
| د ــ الملوك والوزراء والاشراف | ٩٦ |
| ١ ــ مدافن البويهين | ٩٧ |
| ٢ ــ مدافن غير البويهين | ٩٨ |
| ٣ ــ مدافن الحمدانيين | ١٠٠ |
| ٤ ــ مدافن الايلخانيين والجلائريين وغيرهم | ١٠٠ |
| ٥ ــ من نقل على عهد الصفويين ومن بعدهم من السلاطين والوزراء | ١٠٢ |
| هـ ــ العلماء | ١٠٣ |
| السراديب التي تحتويها المقبرة | ١١٧ |
| الدفن في المنازل | ١٢٩ |
| من ادب الجدران ــ مما كتب على واجهات القبور داخل المدينة | ٢٢٢ |
| الصحن الشريف والدفن فيه | ١٣٢ |
| من أدب الرثاء ــ الموجود في حجرات الصحن الشريف | ١٣٢ |
| اجساد العلماء هل تبلى ؟ | ١٤٧ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| عودة الى المقبرة | ١٥١ |
| مشاهدات | ١٥٢ |
| المداخل الرئيسة الى الوادي | ١٥٦ |
| الشارع الملتوي وأثره فى ظهور بنايات حديثة على القبور | ١٥٧ |
| المشتغلون في المقبرة | ١٦٠ |
| أ ــ الوكلاء | ١٦٠ |
| ب ــ مانحو الاجازة | ١٦١ |
| ج ــ مستقبلو الجنازة | ١٦٣ |
| د ــ المشيعون والتشييع | ١٦٤ |
| ولنا من الآلة الحدباء عظة | ١٦٨ |
| هـ ــ الحمالون | ١٦٩ |
| و ــ المزورون | ١٦٩ |
| ز ــ الدفانون | ١٧٠ |
| ح ــ البناؤون | ١٧٠ |
| ط ــ الملقنون | ١٧١ |
| ي ــ المغسلون | ١٧١ |
| ك ــ النحاتون | ١٧١ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| العوائل التي توارثت مهمة اعداد لوازم الموتى | ١٧٢ |
| نحت القبور الموجودة على واجهات القبور فن رائع ابدعته ايدٍ نجفية | ١٧٣ |
| النزاهة ضرورة لازمة لاداء لوازم الاموات | ١٧٤ |
| احصائيات | ١٧٤ |
| أثر المواصلات | ١٧٥ |
| حكم نقل الموتى المباشر ونقلهم من مدفن الى آخر | ١٧٧ |
| الفواتح وما يتلى في ختامها | ١٩٠ |
| زيارة القبور وآدابها | ١٩٥ |
| ما يقال عند الزيارة من دعاء وتسليم | ١٩٩ |
| المغاسل | ٢٠١ |
| مجمل احكام الشيعة في غسل الميت | ٢٠٢ |
| مجمل احكام تكفين الميت | ٢٠٩ |
| عملية الدفن | ٢١١ |
| بعض سنن الشيعة في الدفن | ٢١٢ |
| المقبرة في كتب الرحلات | ٢١٤ |
| ما قيل في المقبرة من نثر وشعر | |
| واخيرا للمقبرة مشاكل لابد من حلها | |

# ملاحظـــات . . .

سبق وان تحدثنا عن صافي صفا فى مجلة العرفان اللبنانية الغراء في العدد الخامس منها م : ٥١ رجب ١٣٨٣ ص ٥٠٠ ، فجاء في الحديث ان صافي صفا اول من دفن بعد علي ( ع ) . والصحيح ان عليا ( ع ) شهد دفن هذا الرجل حسب ما نصت عليه الاخبار ، وارجو من القارىء مطالعة الفصل الكامل عن صافي صفا في صفحة ٤٩ — ٥٧ من هذا الكتاب .

ومن المهم ان يلتفت القاريء الى تصويب الاخطاء التالية :

ففي ص ٣٩ سطر ١٧ كلمة يعضهم : تصبح : يعظهم .

وفي ص ٧٣ سطر ١١ كلمة قال : تصبح : فقد قال .

وفي ص ٧٣ سطر ١٣ كلمة وروي عن : تصبح : وروي فى.

ومن المهم أيضا قراءة السطر الرابع ص ٩٩ بالكيفية التالية: مجير الدين ابو سعيد . .. المتوفي سنة ٦٠٢هـ . والسطر السادس من نفس الصفحة يقرأ هكذا : معز الدين أبو المعالي سعد بن علي المعروف بأبن حديد المتوفي سنة ٦١٠ هـ .

ومن المفيد جدا ملاحظة ما يلي :

أ — العلامة الاعسم الذي ذكرناه : الصحيح انه مدفون في

الصحن الحسيني .

ب ــ العلامة عبد الله شبر الذي ذكرناه: الصحيح انه مدفون في صحن الكاظم ( ع ) .

جـ ــ العلامة المقمقاني توفي سنة ١٣٥١ هـ .

د ــ العلامة محبوبة الذي ذكرناه ، توفي سنة ١٣٣٥ هـ .

هـ ــ العلامة الغراوي الذي ذكرناه ، توفي سنة ١٣٠٦ هـ .

حصل زحاف فى بعض الابيات الشعرية في موضوع أدب الجدران ، ارجو ان يلتفت القارىء الكريم الى ذلك .

# آثار المؤلف

المطبوع :

١ ــ القرآن والاحوال المناخية .

٢ ــ وادي السلام في النجف من اوسع مقابر العالم ( هذا الكتاب ) .

الجاهز للطبع :

١ ــ جغرافية اللواء المقدس في العراق « او كربلاء » .

٢ ــ لمحة عن التوزيع الجغرافي للمسلمين في العالم .

٣ ــ عالم الالغاز « ألف لغز ولغز » .